فرط الرُمان

قصص قصيرة

فاطمة يعقوب

بطاقة الكتاب

فرط الرمان
فاطمة يعقوب
قصص قصيرة

رقم الإيداع :٢٠١٩/٢٩١٤
الطبعة الأولى
عدد الصفحات : ١٠٠
تاريخ الإصدار: يناير /٢٠١٩

الإخراج الفنى و المراجعة اللغوية
دار وادي عبقر للطباعة و النشر

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف ، ولا يحق لأى دار نشر طبع و نشر و توزيع الكتاب إلا بموافقة كتابية من الكاتب

دار وادي عبقر
للطباعة و النشر و التوزيع

www.youtube.com/ wadiabkr /
wadiabkr.wixsite.com/wadiabkr
wadiabkar@gmail.com
www.facebook/ wadiabkar
٠١١٤١٧٢٨٦٢٥
ت : ٠١١٠٠٤٧٤٥٧٥
ت : ٠١٢٢٤٩٦٩٠٤٨

إهـــــداء

إلى رجُلي الأوّل

أبي الذي حُرمت منه منذ نعومة أظفاري.

الذي لا أتذكر منه سوى عينيه العسليتين و بشرته السمراء اللامعة دوماً.

الذي علمني الحنان بابتسامته العذبة التي تملأ النفس صفاءً و اطمئناناً.

مَن علّمني الحبّ و أجلسني في حِجره ، أمسك له بالمرآة ، ليُهذب لحيته.

من وهبني الدفء ، مع كل حبة من حبات أبي فروة ، في ليالي الشتاء القارس.

من علمني الصبر و مواجهة الحياة ، حين وضع في يدي صنارة صيد السمك لأول مرة.

أبي الذي لم يترك لي سوى ذكرياتٍ قليلة ..... و لكني أتذكره دائماً .

إلى أبي رحمه الله.

فاطمة يعقوب

عبرات القلوب

جَلَسْتُ في مدرج جامعة القاهرة انتظر ، اليوم هو موعد مناقشة رسالة الماجستير التي تقدمت بها ، و دقات قلبي تكاد تُسمع ممن حولي ، استغرقتني ذكرياتي في لُجة بُحُور أيامي الماضية ، أيام عصيبة ، حملتني و حطت بي أخيراً هنا ، تلفت حولي أبحث عنه ، تري أين هو الأن ...؟؟ لاحظت ندي صديقتي و زميلتي في (أيام الهناء) كما كنا نطلق على أيامنا في دار الأيتام ، ما انتابني من حيرة ، فوجدتها تهمس لي : لا تهتمي حضر أو لم يحضر ، انتبهي لما أنت فيه الآن .

كانت ندي سندي و عوني على ما مر بي في أيام الشقاء الكثيرة و الهناء القليلة ، نعم ... نعم يجب أن أفعل هذا ، سأهتم بما أنا فيه الأن ، لابد لي أن أستعد لتلك المناقشة التي أنا مقبلة عليها الأن ، لأحقق أحد أحلامي الكثيرة ، التي عشت على أمل أن أحققها ، و لكنني لم أنساه طوال تلك السنوات الماضية ، و التي فُرض علينا فيها الفراق ... نعم فرضته أُمه عليه هانم ، حين لاحظت تلك النظرات المتبادلة بيني و بين عادل ابنها ، فوضعتنا تحت عينيها ، لتتأكد مما شعرت به ، و مدى اهتمام عادل بي ، و تأكدت مما ربط بين قلبينا من عاطفة بريئة ، حين وجدت عادل ممسك بيدي ، ناظراً في عيني ، تغمرنا لحظة سعادة و نشوة ، جعلتنا محلقان في سماوات المنى لم نشعر باقتراب قدميها إلى مكان وقوفنا ، بجانب شجيرة الورد في حديقة المنزل ... ، رأيت يومها مدي ما حملته نظرتها لي من عتاب ، نهرتني أنا وحدي ، و كأنها تحملني تبعة ما نمى بيننا من حب ، و بعدها كان قراراها القاسي و هو

أن تفرق بيننا .... الآن فقط تفهمت ما جعلها تفعل ذلك ، ربما كان لها الحق ، فهي كأم ترى أنني لا أصلح له زوجة .....هي تعرف عني الكثير .... تعرف عني كل شيء.... منذ كنت طفلة لم تتجاوز السابعة من عمرها ... أتذكر الأن كيف كانت بداية حكايتي مع عليه هانم ، و جميلها الذي لم أستطع إنكاره ، و الذي كبلتني بجميلها عليّ و على أخي حمدي ، ذلك الجميل الذي منعني من مخالفة أوامرها ، فأصبحت أسيرة لمعروفها طول عمري ، كانت هي اليد الحانية التي احتضنتنا ، منذ تلك الليلة المشئومة ، التي لن أنساها ما حييت ، أه .. تلك الليلة التي غيرت مجري حياتنا .. تلك الليلة ...التي لم نرى أبانا بعدها أبدا ، بدأت بشجار عنيف بينه و بين أمي كالعادة ، مما جعلنا ننكمش في ركن الحجرة مرعوبين ، حتى خرج أبي لأخر مرة ، ليغلق الباب خلفه بعنف ... بعدها ، غفونا أنا و حمدي في نوم مضطرب هاجمتني فيه الكوابيس و الأحلام المزعجة جعلتني أصرخ في خوف ، فتسرع أمي لتضمني في أحضانها ، و تهدهدني بلمسةٍ حانية ، أتذكر أن هذا المشهد كان يتكرر في حياتي كثيرا ، حتى جاءت تلك الليلة التي استيقظت في صباحها ، فلم أجد أبي في فراشه ، سألت أمي : أين أبي ؟... ...جاءتني إجابتها : لا أعرف ، و لا أريد أن أعرف ، لعل الله لا يرجعه.

كانت أمي على حق فقد كان مصدر شقاء للجميع ، لم أراه يوماً وعلى وجهه ابتسامة تشجعني على الاقتراب منه ، فهو إما نائماً يغط في نومه ، و إما يضرب أمي ، ليغتصب منها ما يحتاجه من نقود ، و لولا أمي لطردته عليه هانم صاحبة الفيلا ، من العمل منذ زمن بعيد ، فهو حارس بالاسم فقط و لم أره يوماً جالساً على بوابة الفيلا ...

في ذلك اليوم تغير مجرى حياتي كلها ، كان قدر كُتب على أن أقاسي فيه ألوان التعاسة والشقاء بكل أشكالها ، كانت أغاني طفولتي البائسة و موسيقاها التصويرية هي سُباب أبي الذي اعتدته ، ، سُباب يَصُبَهُ على كل من يوقعه سوء حظه في طريقه ، و لم تتعود عيني إلا على رؤية أمي دوماً تصرخ ، و هي تحاول التملص من يده يوسعها ضرباً و ركلاً .... متبادلاً و إياها الشتائم و السُباب ليَسْتَخلِص منها بضع جنيهات ، يغتصبها منها ، و التي ينفقها على كؤوس الخمر الرخيصة ، و المخدرات لزوم نزواته الليلية مع أصحاب السوء ، .... نظرت أمي يومها إليّ ، نظرة تحمل الكثير من المعاني ، التي لم أفهمها حينئذ، نظرة تحمل كره العالم كله ، لذلك الرجل الذي أحال حياتها إلى جحيم ، و أنا أسألها عنه ؟؟!!!.... يومها أغمضت أمي عينيها وهي خُرج من صدرها زفرة حارة ، ، قبل أن تدفع لي برغيف خبز بايت ، و قطعة من الجبن قائلة : افطري أنت و أخوك ، و أنا أطلع لشقة عليه هانم ، أشوف شغلي.

مرت عدة شهور ، و لم يظهر أبي ، كُنت أسمع همسات أمي مع عليه هانم التي كانت تحثها ، للبحث عنه و كانت أمي تتغيب عنا بالساعات يومياً بعد انتهاء عملها ، باحثة عنه دون جدوي ، هل لقى حتفه ؟ حتى تستريح ، أم مازال حياً يرزق ؟

لا أحد يعرف عنه أي شيء !! كانت عليه هانم في تلك الأوقات تتولى أمرنا ،عاشنا أنا و حمدي مع ابنها عادل ، كان يكبرني بسنوات قليلة ، ننطلق جميعاً للعب في حديقة المنزل ، جمعت الألفة بين قلبينا أنا و عادل، توافقت ميولنا و أفكارنا و أخلاقنا ، كنت أشعر بلمسات عادل الحانية وعطفه عليّ ، و الدفاع عني حين أشتبك مع أخي ، كان اللعب يستغرقنا حتى موعد الغذاء ، فنسمع صوت أمي تنادينا ،

فنسرع صاعدين إلى شقة عليه هانم ، كنت في تلك اللحظات أشعر بحزنٍ عميق يجثم على صدري ، و في المطبخ نجلس أنا و أخي في انتظار انتهاء أمي من وضع الأطباق المملوءة بأطايب الطعام على طاولة حجرة الطعام الكبيرة ذات الكراسي المبطنة بالجلد ، لتتناول عائلة علية هانم طعامهم ، و بعد انتهاء الأسرة ، تلملم أمي ما تبقى منهم لتضعه أمامنا لنأكله نحن ... و هو طبعاً لا يختلف في طعمة عما كان هناك أمامهم ، و لكن هنا أمامنا شكله مختلف تماما ، فهو فتات ، قطع صغيرة ، مختلفة الألوان و الأصناف ، لم تكن هناك قطعة مما وضعته أمي أمامنا كاملة أبدا ، بل أنواع و أجزاء متفرقة نعم هي من نفس طعام الأسرة ،و لكنها بواقي طعام ، هيهات أن تكون في عيون طفلين في عمرينا مثل ما أكلته الأسرة

كانت أمي حين تلمح إمارات الامتعاض على وجهي تقول : كلوا و احمدوا ربنا يديمها علينا نعمة غيرنا ما بيطولوهاش .. كلوا .

عدت إلي واقعي بين الأصدقاء و الزملاء الملتفين حولي في قاعة المحاضرات ، كانت ندى تضغط علي يدي المرتعشة في حنان و تقول : اهدي يا عواطف اهدي .

قلت : ربنا يستر يا ندى ، كان نفسي يكون عادل موجود كما وعدني .

لملمت أشلاء نفسي المضطربة ، و غبت في بحر ذكرياتي مرة أخري ، ذات يوم عادت أمي من الخارج ، حزينة بائسة لتتهالك بجانبي على الفراش ، تبكي و تنتحب و تسب نصيبها البائس ، كانت في حالة انهيار لا حد له ، تبكي و لا تتكلم مع أحد ، شاردة ساهمة ، تهزي بكلمات غير مفهومة ، ثم تنكمش لتجلس في أحد أركان الحجرة ، جلسنا جانبها يومها نبكي لبكائها ، فضمتنا إليها بشدة حتى غفونا ،

لأستيقظ في الصباح على نحيبها بصوتٍ مرتفع ، و هي تُمزق ثيابها ، و تشد شعرها ، مما أدخل الرعب في قلبينا ، و جعلنا نسرع في الصعود و نحن نصرخ مستغيثين بها ، خوفاً و فزعاً ، لم نفهم يومها ماذا يحدث؟ و لا ماذا يدور حولنا ، ثم جاء رجال الشرطة و معهم عربة إسعاف ، بها رجلين ، يرتديان الملابس البيضاء و ألبسوا أمي قميصاً أبيضا و حملوها إلى السيارة و هي تصرخ باكية : (قتلته ايوه قتلته سيبوني أنا ما عمتلش حاجة سيبوني) تجمع الجيران يومها أمام بوابة الفيلا ، يتحدثون في أسى قائلين : يا عيني الولية قتلته و اتجننت ؟؟!!

بكيت يومها ، كما لم أبكِ طوال حياتي ، وأنا أري أمي تُساق بين يدي هؤلاء الرجال الاشداء ، أمي ... أه أمي ... لم ينقطع حنيني إليها .. ترى أين هي الأن ؟... تلك الشابة الصغيرة التي أوقعها حظها العاثر في براثن أبي ، ذلك الشقي الذي لا هم له سوى مقارعة الخمر، و مشاكسة الجيران ... أذهب الشقاء بشبابها و هي تعمل في كل ما يتاح لها من أعمال ، لتحصل على لقمة العيش لصغارها ، تزدرد الذل ، من الكُل ، لتضمن ثمن ما يسد جوعنا أنا و أخي الصغير حمدي.

و هكذا منذ ذلك اليوم ، اختفى أبي و ذهبت أمي ، لم نراهما ثانية ، و بكينا ونحن نهرول وراء عربة الإسعاف ، ننادي على أمي ، يلفنا خوفٌ لا نعرف مغزاه ، ... لم يخفف عنا سوى تلك الأيدي الحانية تحتوينا .... أنها عليه هانم التي صعدت بنا إلى شقتها تواسينا و تمسح دموعنا ... سألتها يومها : أبلة .. أمي راحت فين ؟

قالت وهي تمسح دموعي : ماتخافيش أمك بخير بس هي عيانة شوية و بكرة تخف و ترجع بالسلامة .

تساءلت يومها : أترى ستعود أمي إلينا ثانية ؟ كما تقول عليه هانم ؟؟ أم تراها جُنت كما

سمعت من الجيران.

مكثنا أنا و أخي عند عليه هانم أسابيعاً قليلة ، كانت عليه هانم حنونه ، تشفق علينا ، أكرمتنا ، نأوي في الليل إلى حجرتنا لننام ، و بعد أيام قليلة صحبتنا عليه هانم الى بدار الطفل اليتيم ، الذي تشرف عليه الجمعية الخيرية التي ترأس مجلس إداراتها . بعد أن يأست من العثور علي من يكفنا من أسرتي أبوينا ، و هكذا أصبح مقامنا أنا و أخي في بدار الطفل اليتيم ، أتذكر الأن كيف كانت أيامي الأولي هناك ، و كم قاسيت من شعوري باليتم و الحاجة إلى الحنان ، انحدرت دموعي ساخنة على خدي الغض ، شعرت بلهيبها يحفر على وجهي آثار الألم ، و الشعور بالضياع ، و لم أجد من يكفكف دموعي المنهمرة ، لهذا تعلمت منذ ذلك اليوم ، أن أمسح دمعتي بيدي ، فلن أجد أحد بعد اليوم بجانبي يفعل ذلك .

ظللت طوال الأسبوع الأول بدار الطفل اليتيم ، منزويه في ركن بعيد ، يلفني الحزن ، أتطلع للأطفال المنطلقين حولي في لعب و مرح ، و الأسى يقتلني ، و الحزن يلفني ، و زاد من حالتي هذه ، انفصالي عن أخي حمدي إلى دار أخرى خاصة بالبنين

زادت علي شقة اليتم و البعد عن أبوينا ، لم أتأقلم على الجو الجديد ، فكانت المشرفة علينا ، تحاول بين الحين و الأخر التقرب مني ، لتحدثني و تشجعني على اللعب مع بقية الأطفال ، ثم جاءت بندى و كانت في مثل سني و قالت لها : ندى خذي عواطف خليها تلعب معاكم..

صحبتني ندي معها ، و هي تمسك بيدي لننطلق سوياً ، و هكذا أصبحنا منذ تلك اللحظة متلازمتين أنا و هي معاً حتى الأن ، و اليوم جلست بجانبي هنا لتحضر مناقشة رسالتي .... كانت تبدد إحساسي بالوحدة و الحرمان بوجودها معي ، لا نفترق إلا في عطلة الأعياد ، التي كانت تستضيفنا فيها علية هانم في منزلها ، و التي كنت أفرح بها فقط لوجودي بجانب عادل ، رغم أنني كنت أقضي معظم وقتي في مساعدة عليه هانم في أعمال المنزل و المطبخ ، بعد أن وضعتني مكان أمي لخدمتها ، رضخت لهذا الأمر ، كونه وسيلة تقربني من عادل

مرت بنا السنون و أصبحت حياتنا في دار اليتامى محتمله ... و أصبحت أيامي منقسمة بين الدار و المدرسة ، و منزل عليه هانم .... أحببت العلم ، وتفوقت فيه على أقراني ، و أصبحت موضع حب وتقدير، من المدرسين ، و المشرفين ، لنبوغي و تفوقي و هكذا أصبحت بدار الطفل اليتيم مأوانا .

كنت ألتقي بعادل و أخي ، فننطلق جميعاً في اللعب و اللهو بعد إنجازي ما تطلبه مني أمهما من مهام ، في تنظيف المنزل ..... و مع مرور الأيام قلت أوقات لهونا معاً ، أتذكر الأن كيف كنا نستمتع بلعبنا سويا و نبتعد قدر استطاعتنا عن عيون من حولنا ، أنا و عادل لتتلامس أيدينا في نشوة ، لا حد لها ، جعلتنا نحاول دوماً ، تكرار تلك الملامسات البريئة ، التي لم نكون نعرف حينئذ سببها .

رغم مرور السنين على فراق أمي ، لم انقطع عن زيارتها ، في مستشفى الأمراض النفسية ، التي وضُعت فيها للعلاج ، كانت حالتها تزداد سوءً يوماً بعد يوم ، حتى جاء يوم ابلغتنا فيه عليه هانم بوفاتها ، يومها انقطع الأمل عندي أن أعود إلي أحضانها لأتزود من حنانها ،

أحسست يومها بطعم دموعي مراً كالعلقم ، مددت يدي لأمسحها ، فلم يعد هناك مجالٌ للبكاء .

حين بلغت الثانية عشر من عمري ، وجدت ذلك السائل الأحمر في ملابسي الداخلية الشيء الذي أفزعني ، فأسرعت استبدلها بأخري ، لاحظت عليه هانم ما انتابني من اضطراب و اصفرار وجهي ، و حين أخبرتها بما حدث لي ، ابتسمت و هي تقول : لا توجد مشكلة أنت كبرت و بقيتي آنسة ، مبروك .

راحت تعلمني كيف أوجه تلك الظاهرة التي سوف تتكرر معي شهرياً ، و من يومها أصبح لعبي مع الأولاد غير مقبول .... لم أفهم يومها ماذا جعلها تغير معاملتها لي ، و تمنعني من النزول إلى الحديقة ، و اللعب مع معهم قائلة : أنت بقيتي شابة ، و تغير جسمك و الأنوثة ظهرت عليك .

احمرت و جنتي يومها خجلاً ، و شعرت بتلك العلامات التي لم أنتبه إليها سابقاً ، لقد أصبحت آنسة بكل ما تحمله تلك الكلمة من معاني ، طرأت على جسمي تلك التحولات وتغيرت مقاييس أعضائي إلى الأكبر ، حيث جعلتني أكثر و أجمل من زي قبل ، و أخذ نهداي يكبران شيئاً فشيئا ، و يستديران كأنهما برتقالتين ناضجتين ، كالتي كانت تضعهما ندى في صدرها ، و نحن نلهو معا في الدار حيث نستغرق في الضحك ، عندما تقوم بالرقص و التهريج ، نحن و باقي فتيات الدار ، أحببت هذا التغيير في بادئ الأمر ، أما الأن و بعد أن حال بيني ، و بين اللعب مع عادل ، أو حتى الجلوس إليه ... عادل الذى نمى ما كان بيننا من أحاسيس ، و مشاعر، كلما مرت بنا السنين ، كان هو يكبر بحوالي خمسة أعوام ، كنت أعتمد عليه كثيراً أثناء لعبنا ، و نحن صغار ، كان يؤثرني على نفسه، في الحلوى ، و ما أتلقاه من يده خلسة كان

يسعدني ، و مع ذلك ظل ارتباطي بعادل ، حلماً من أحلامي ، لم أستطع تحقيقه .

و يوم نجاح عادل في الثانوية العامة : صاحت أمه قائلة : كبرت يا عادل و أصبحت رجلاً .

كانت فرحتي بنجاح عادل ، لا توصف ، فرحة حملتني على جناح الأحلام ، و جعلتني أطير في سماء الأمنيات ، أتصور نفسي معه ، ممسكه بيده ، في انطلاقة حالمة ، أفقت منها على صوت أمه تقول : إن شاء الله أراك مهندساً كبيراً ، و أزوجك أجمل بنت في العيلة ، تليق بمقامك .

هويت في تلك اللحظة ، إلى أرض الواقع الصلب الذي لا يرحم ، أيمكن أن يحدث ذلك ؟ ، أيمكن أن يكون عادل مع أخرى غيري ؟ ، أنا لا أستريح لقريباته ، حين يحضرن لزيارتهم، أغار من تقربهم إليه ، فأنا لا أرى إلا وجهه ، إذا تكلم هو أحلي الأصوات ، هو عمري ما مضى منه ، و ما هو آت ، كان حلمي الغالي ، لم انتبه إلى تلك الفروق بيننا ، و لم أقم وزناً لها ، أنا أعلم من أنا ، و أعلم من يكون هو ، و أعرف يقيناً ، أن عليه هانم ، لن ترضي عن هذا الحب ، و تلك المشاعر التي ربطت بيننا ، و لشعوري بالدونية هذه ، كنت أحاول إنكار مشاعري نحوه ، في الوقت الذي كنت أتمني من كل قلبي ، أن أقف أمام الجميع ، لأصرخ من أعماقي بكل ما نمى في قلبي من حب ، لأقول : أنا أحبه ... أحبه ... أحبه .

و لكن هكذا وَأَدَتْ عليه هانم أحلامي.

و مع اندماجي في الحياة المدرسية ، و وجود عليه هانم ترعانا ، و رغم اننا ناكل و نلبس أفضل مما كانا سابقاً ، إلا أنني كانت أشعر

بغصة في حلقي و إحساس بالضياع و رغبة في البكاء دائمة .... كنت أشتاق إلى صدر أمي الحنون ، أمي ... أه أمي ... لم ينقطع حنيني إليها .. ترى أين هي الآن ؟ صدر أمي الذي كان كثيراً ما يحلو لي النوم عليه ، و شعوري بيدها تضمني في حنان يشعرني بدفء الدنيا كلها، رغم ما كانت عليه ملابسي من بساطة ، و القشعريرة التي كانت تلف جسدي حينئذ و رطوبة جدران حجرتنا في الماضي .. و ما أنا عليه الأن ، و رغم وجود الأغطية الثقيلة على جسدي ، و رغم مرور كل تلك السنين ، كنت أشعر برعشة و قشعريرة في الليل ، كنت أتساءل كثيراً ، تري إين هي الأن ؟ و ثم تنحدر بعدها دموعي ساخنة ، عندما أتذكر لحظاتي معها ، و اشتياقي لأحضانها الذي لم يفتر أبدا.

و حين حصلت علي شهادة الإعدادية ، حيث سمعت عليه هانم يومها تقول : يكفي عواطف الشهادة الإعدادية و سوف ألحقها بعمل تستطيع العيش منه و رعاية أخوها ، إذن هذا هو قراراها فهي قررت أن من المصلحة أن تبعدني عن بيتها ، كنت أتحمل طلباتها فهي لي مكان أمي في تنظيف المنزل خلال أيام الإجازات التي كنت أمضيها عندها ، و في كثير من الأيام التي تأخذني من الدار لأعمل في بيتها ، كنت أتحملها من أجل عيون عادل ، لأنها تتيح لي فرصة التواجد معه خلالها ، هي أبعدتني عن عادل ، ظناً منها ، أنه هو الحل الأمثل لأنهاء ما نمى بيننا من حب ، دارت بي الدنيا يومها ، بدلاً من أن أفرح ، غمرتني لفحة حزن غلفت قلبي و وجداني ، كانت قرارات علية هانم دائماً نافذة ، إذن حان وقت الفراق !!!.

يومها عاهدت نفسي على أن أكون أكبر من أحلامي التي تقف عند أقدام عادل ، و رفعت سقف طموحاتي إلى أعلى مما كان ، بعد حصولي على الثانوية العامة ، ساعدني تفوقي في الدراسة و حسن

أخلاقي ، على أن التحق في نفس الدار التي تأوينا بالعمل كمشرفة ، مما ساعدني علي مواصلة دراستي و دراسة أخي ، لأحقق كل ما أتمناه ، فَرُحْتُ أواصل دراستي ، حتى حصلت على ليسانس الآداب قسم اجتماع بدرجة امتياز ، الأمر الذي شجعني على مواصلة تحقيق أحلامي ، فكانت رسالة الماجستير ... التي يتم مناقشتها الأن .. و طوال تلك الفترة كنا نلتقي أنا و عادل ، تغلف أيامي أبهج الألوان ، بعيداً عن عيون أمه .

أعلن المذيع الداخلي اسمي (عواطف عبد السميع)... عواطف هذا هو اسمي ... للأسف ليس لي نصيب و لو ضئيل منه حرمت من العواطف منذ بكارة أيام عمري الأولي ، لو كان !!... و هذا طبعها مجرد حلم لم يتحقق على مدى اثنين و عشرين عاماً التي قاسيت فيها الأمرين ... لو كان لي نصيب ضئيل من العواطف !!!.

سمعت اسمي يتردد في فضاء القاعة .. نعم هو حلم من أحلامي... تنبهت على لكزة من مرفق صديقتي ندى ، فأعادتني إلى لحظتي الآنية ، لأسمع المذيع يردد اسمي ثانية .... فهتفت : نعم.

نهضت ، لأقدم نفسي ، و لتبدأ مراسم مناقشة الرسالة ... استغرقتني المناقشة مدة الساعتين تقريبًا ... فانفصلت فيهما كلياً بكل حواسي ، عن العالم خارج القاعة ، بحلوه و مره ....

مرت الدقائق كأنها دهر ، حتى أنهى رئيس لجنة المناقشة خوفي ، بإعلانه حصولي على درجة جيد جداً لإجازة شهادة الماجستير ... في تلك اللحظة دوي حولي التصفيق ليعود بي إلى أرض الواقع ... احتضنني أخي حمدي ، في فرحة غامرة ، طُبعت على خدي قبلات صديقاتي ، و شد الزملاء على يدي مصافحين مهنئين ، كنت خلال تلك

اللحظات أدور بعيني خلال المحيطين بي ، في أنحاء المدرج عن وجه تمنيت أن يكون بين الحضور ، لأراه فقط ..نعم لأراه ... عادل ...رغم إحساسي بأنه لن يحضر ، كنت أتمني أن يكون إحساسي هذا كاذباً ، و حتى انتهت مناقشة الرسالة ، لم يظهر عادل في القاعة ، اعتصر الألم قلبي فوجدني أضع يدي علي مكان قلبي أضغط عليه و كأنما أقول له ... لا أمل يا قلب كفاك يا قلب مماطلة و اختراع الأكاذيب و الأعذار أما زلت آملاً في رجوعه ... فرت دمعة حارة من عيني ، و لأنني تعلمت منذ صغري ، إنه لم يعد هناك مجالاً للبكاء ، فلنواجه قدرنا ، و نتعلم أن نحتفظ بدموعنا لأنفسنا ، أكسبتنا الأحداث ، صلابة غير عادية ، ترى نجحت عليه هانم في تغير مشاعره نحوي و إبعاده عني ؟؟؟ كثيرٌ من التساؤلات تدور في رأسي ... تقرع فيها كالطبول ... تمزقني ، انهمرت دموعي ساخنة ، مددت يدي لأمسح دموعي ، و أنا أهمس : لم يعد هناك مجالاً للبكاء ، سأتعلم مهارة النسيان ، و أنظف عقلي باستمرار .. لن أحتفظ فيه إلا بالجميل من الذكريات أما المؤلم منها فسأقطف منه العبرة و الحكمة ، سأواجه قدري ، و أتعلم أن أحتفظ بدموعي لنفسي، فلن يفيدني في شيء أن يراها أحد ، و لن أجد من يمسح لي عبراتي إلا يدي.

أغنية الصمود

أدارت علياء كاسيت السيارة بعد أن أوقفتها على جانب الطريق ، لينطلق صوت فيروز (حبيتك في الصيف حبيتك في الشتي) ، تركت عباءتها تنسدل على كتفيها في دلال ، و رائحة عطرها ينتشر في المكان ، بسحر لا يقاوم ، و عيناها الجميلتان تتجولان بسرعة هنا و هناك ، ترقب كعينيّ صياد يبحث عن فريسته ، تحدّق ، و ترقب ، و تلاحظ في نشاط ما يحدث هناك في أول الطريق أفترت شفتاها عن ابتسامة شامتة ، إنهم هناك يقفون و يتربصون بالقهر و القمع ، هتفت : و الآن إلى العمل .

إنها لا تحتاج إلا أن يراها أحدهم ، لتقع الفريسة في شباك الصياد ، تظاهرت بالنظر أسفل السيارة و كأن بها عطلاً ، ثم وقفت بجانبها قليلاً ، حين أطار الهواء طرف عباءتها، ليظهر تحتها ثوبها الأحمر الحريري ... لمحها من بعيد ، أقبل نحوها يتلفت حوله متلصصاً ، تظاهرت بعدم الاهتمام ، همّت بركوب السيارة ، حين اقترب منها ، اغتصبت ابتسامة لتضعها على شفتيها الورديتين ، و هي ترنو إليه بنظرة ساحرة ، لهث على أثرها مندفعاً ، و انحنى ليدخل رأسه من نافذة السيارة ، لتلفحه رائحة عطرها ، فأشعلت حيوانيته الكامنة قال : هلا.

التزمت الصمت و هي تبتسم ؟؟؟ قال : إلى أين ؟

قالت في دلال : لا مكان

قال : تحتاجين إلى ؟

رفعت كتفيها قائلة : يا ليت !!

قال بسرعة و قد طفت وحشية الذئب : هيا سأكون صُحبتك الليلة

قالت : ربما كل ليلة

دار حول السيارة بسرعة ، ليجلس بجانبها ، بينما كانت تهتف قائلة : يا هلا يا هلا

وضع سلاحه تحت قدميه ، اندفعت بالسيارة و هي تقول : اخلع غطاء رأسك حتى لا يعرفك أحد.

خلعها و ألقاها على الأريكة الخلفية و هو يقول : بماذا أدعوكِ ؟

افتعلت ابتسامة ، لتضعها على شفتيها مرغمة ، و هي تقول : لا يهم الاسم ... يكفيك الجسم ... ضحك في نشوة و هو يقول : يا هلا فرك يديه و هو يسأل : عندك مكان طبعاً ، أهو بعيد عن هنا ؟

قالت : لا قريب !

تفحصها في نهم ، و هو يسأل : و الشراب ؟

قالت : لا تحمل هما .

قال : تعيشين لحالك ؟

قالت : نعم وحيدة بعد أن رحل الجميع

مد يده يتلمس الطريق إلى جسدها ، أسرعت تبعدها في ليونة و هي تقول : لا تتعجل ،اصبر ،أنا أقود السيارة !

أعاد الكرّة و هو يقول : ما عندي صَبْر.

أزاحت يده مرة أخرى و هي تقول : صبراً نحن في الطريق إلى البيت .. لا تلفت النظر إلينا ، لم يعد البيت بعيدا.

كانت جوارحها تتألم ، احتجاجاً على ما يفعله ، و لكن لا بأس من قبول قليلاً من الرزالة منه في سبيل إنجاح الخطة ! كان جمالها وسيلتها الناعمة لتحقيق مبتغاها ،. أوقفت السيارة أمام البناية ، و هي تقول في غنج و نعومة : اترك سلاحك في مكانه هنا ، حتى لا تلفت الأنظار إلينا .

دخلت و هو في إثرها ، يتحرق شوقاً .... اختفيا داخل البناية ، فتحت باب شقتها و دخلت بعد أن أمسكت بيده تجذبه قائلة : أسرع قبل أن يراك أحد

دخل مندفعاً في لهفة ، و أغلق الباب بسرعة ، نظرت إليه في دلال و هي تقول : لحظة و أكون جاهزة .

هوى بجسده على أقرب أريكة إليه ، و قد سعد بما سيحظى به اليوم ، مع هذا الجسد الجميل ، ملأت ابتسامة الذئب وجهه البغيض ، في حين استدارت هي بسرعة لتشهر سلاحها ، المختفي بين طيات ثوبها ، انكمش يغوص في مقعده ، ناظراً إليها في دهشة و رعب ، مستحيل أن تكون هذه النمرة الشرسة ، هي نفس المرأة التي أنسته منذ قليل كل شيء إلا رغبته فيها ، الرغبة التي أشعلتها بأنوثتها الطاغية و دلالها الناعم.

صاحت و شرر الغضب يتطاير من عينيها في سخرية : سوف ينعم جسدك بنصل هذا السلاح.

و في لمح البصر كان نصل سلاحها ينغرس في رقبته ، ليرتفع عدد قتلى المغتصبين لوطنها واحداً ، انتقاماً منهم لشُهداء أسرتها، الذين اغتالوهم هنا في نفس المكان ، و أصبح الانتقام منهم هو شغلها الشاغل منذ حدث ذلك .

الرجل و الكاميرا

شاطئ بلطيم ، شاطئ ما زال شاباً ، لم تقسمه النوادي ، أو القرى السياحية ، شاطئ مفتوح على مدى الشوف ، الشيء الذي جعلني أعشقه ، حيث يذكرني بشاطئ مسقط رأسي بورسعيد ، الذي قضيت عليه أجمل أيام طفولتي ، أيام كنا نقف وننظر للأمام، فنرى آخر الشاطئ ، و ساحة الباتيناج (التزلج) تلك اللعبة التي كنا نحبها و نخاف المجازفة بممارستها ، نحن أبناء البسطاء من الطبقة الوسطى ، الذين لم تتح لنا ظروفنا الاجتماعية ، و الاقتصادية ، أن نتعلمها ، أو نشتري ما يلزمها من أدوات ، فيظهر لنا عن بعد تمثال ديليسيبس ، يقف على رأس القناة ، نظل نتابع السفن العابرة ، و هي تدخل الميناء ، لا يعترض نظرنا مبنى ، و لا سياج يقتطع منها منطقة تخصص لأناس بعينهم ، و يحرم باقي المصطافين الاستمتاع به ، شاطئ للجميع الشيء الذي افتقدناه في أيامنا هذه .

مر يومان ، و لم يظهر العجوز ، افتقدناه ، تصورناه مات ، فسنه المتقدم و حركته البطيئة في غدوه ، و رواحه على طول الشاطئ ، لفت نظري و تكوينه الجسماني ، سمين يكاد يكون ضلعه مربع ، طوله مثل عرضه ، مع كرش عظيم القدر، أشفقت عليه ، يرتدي دوماً زياً أبيضاً كأنه قبطان سفينه متقاعد ، شورت أبيض ، يحدده عند الوسط بحزام أسود ، و تي شيرت ، و كاسكيت ، و صندل بلاستيكي أبيض ، و بجانب هذا ابتسامة عذبة ، تملأ وجهه ، بشاشة و بشر ، تشع من عينيه طيبة ، و تعم قسمات وجهه إشراقة حانية ، جعلني كل هذا ،

أظنه أجنبي الأصل ، ممن كانوا يعملون في شركة قناة السويس ، ما زال يعيش معنا في مصر ، بعد أن رحل جميعهم من بلدنا ، ذكرني بخواجات الخمسينات الذين كُنت أرهم في طفولتي في بورسعيد ، بالزي ناصع البياض ، في تناسق و جمال ، و لكنه كان يحمل على جانبه الأيسر حقيبة سوداء قديمة منتفخة ، وعلى صدره ، كاميرا قديمة الطراز ، تدل هيئته عموماً ، على أنه من مصوري الشاطئ، و لكنه ليس كالمصورين الذين اعتدنا رؤيتهم بالشورت الجينز و التي شيرت الملون ، شعرنا جميعاً بالشفقة على العجوز ، فشكله يدل على أنه قد تعدى السبعين من عمره ، فقد كان وزنه الثقيل ، و سنه المتقدم ، يفرضان عليه الحركة البطيئة ، والسير المتأني ، و ملامح وجهه تشي بحكمة الكبار ، يتلفت حوله بحثاً عن أحد يناديه ، ليلتقط له صورة تذكارية ، أشفقت عليه ، كثرة تجواله على الشاطئ .

طوال الخمسة أيام التي قضيناها حتى الأن ، لم أرَ أحداً حولنا من المصطافين استدعاه ، فقد تغط تكنولوجيا الموبايل الديجيتال على تلك المهنة ، مما جعل بعض العاملين بها ، يتحايلون على هذا الكساد ، باصطحاب بعض الحيوانات كالحصان أو الجمل ، ليغري بهما المصطافين لالتقاط بعض الصورة معهم.

اكتشفت أن جميع أفراد أسرتي مشغولون بأمر العجوز مثلي ، اختلفنا في حقيقة جنسيته ، هل هو مصري ، أم خواجة ؟ كنت مصرة على رأيي في أنه خواجة ، فأدبه و هيئته و ابتسامته الجميلة ، تدل على انه خواجة ، تشكك الباقون في قولي ، اقترحت عليهم أن نستدعيه بحجة رغبتنا في أن يلتقط لنا صورة جماعية ، ليحصل هو على فرصة عمل ، و نحصل نحن على إجابات لهذا الاختلاف الذي نحن فيه.

غيابه لليوم الثالث ، جعلني أنادي أول مصور مر بنا ، لأسأله عنه ، نظر الرجل لي نظرة ، فهمت معناها ، لقد خيبت أمله في الحصول على فرصة عمل ، ولكنه طمأنني على العجوز حين قال : يمكن بيستريح شوية ، و يجي بكرة .. لك عنده صور ؟

قلت : لا باطمّئن عليه بس.

كرر نظرته لي مرة أخرى و لكنها هذه المرة يملأها الغضب .

في الصباح ، وجدته أمامي بابتسامته الحانية و وجهه البشوش ، رغم إننا صرفنا النظر عن التقاط صور لنا ، و الاكتفاء بكل ما حصلنا عليه من صور بكاميرات الموبيلات الخاصة بنا ، عندما رأيته أمامي ، وجدتني أشير له ليقترب ، تمنيت فقط أن أتكلم معه ، و كأنه كان في انتظار إشارتي ، اتجه إليّ ، وهو يضع يده على الكاميرا ، استعداداً لالتقاط صورة ، أشرت للجميع أن يخرجوا من الماء ، بعد دقائق كان قد التقط لنا صورة جماعية و هو يقول : كل سنة و أنتم طيبون عاوزة كام نسخة ؟

قلت : ثلاثة .

لم نكن بطبيعة الحال نحتاجها ، و لكني شعرت بأنني أفعل خيراً في هذا العجوز الطيب ، و بدأت أتجاذب معه أطراف الحديث فسألته : اسمك إيه؟

قال : أحمد ؟

قلت : أهلا يا عم أحمد ، أنت مصري ؟

ظهر على وجه الرجل علامات الدهشة و الاستنكار معا وقال : خير فيه حاجة ؟

قلت : لا يا عم أحمد ، خير ، بس أنا تصورت إنك خواجة.

اتسعت ابتسامته و هو يقول : لا أنا مصري ، ابن مصري ، أنا فلاح من هنا ، كنت موظف بالمجلس المحلي.

قلت : أنت دلوقت بالتأكيد على المعاش .

قال : من عشر سنين .

قلت : ماتأخذنيش أصل هدومك ، و هيئتك على مستوى راقي ، لم أتعود أشوف مصور الشاطئ

في أناقتك ، حسبتك قبطان أجنبي متقاعد ، تعيش هنا ، بحثاً عن رزقك بالتصوير.

قال : لا أنا أحب التصوير، هواية ، تملأ وقت فراغي ، و معاشي يكفي و الحمد لله .

ألقى عم أحمد التحية علينا ، و سار في طريقه ، منصرفاً إلى الجهة الأخرى من الشاطئ ، يبحث عن أخر يده ترتفع ملوّحاً له ليأخذ له صورة تذكارية.

الصرخة الخرساء

جاءت تسعى ... في جماعات متتابعة... لاهثة من طول السفر .. يوجهها وحي رباني ، بأن هذا هو الطريق إلى غايتها .... طريق تقطعه، كل عام دون فتور ، دون توقف ، خلقها الله ، يرعاها ، في رحلة تتكرر ، لتحقيق الغاية التي خلقها الله من أجلها ، لحفظ النوع ، موسم التزاوج حل ، اللقاء على أرض الخليج ، تضع بيضها ، ترعى صغارها ، ثم تستأنف رحلة العودة معهم ، إلى حيث وطنها الأصلي ... ، تقطعها أميالاً ، وأميالا ، ذهاباً و عودة كل عام ، هنا عِشْقُها الأبدي ، تلك البقعة الساحرة من الأرض ، في شوق دائم لزرقة مياهها ، تحلم بيوم وصولها إلى الأرض الموعودة ، التي حباها الله بجمال أخاذ ، في لوحة ربانية رائعة يتناغم فيها ، الأصفر الذهبي لرمالها ، مع الخضرة النضرة لأشجارها ، تضمهما خلفية مبانيها البيضاء ، تعانق زرقة سمائها و مياهها الصافية .

تنفست الصعداء ، حين لاح لها الأفق ، يبشر باقتراب مبتغاها ، تسللت خيوط الضوء الفضية من خلف السحب المتناثرة ، لتظهر الأرض رويداً رويداً زادت فرحتها ، بقرب تحقيق حُلمها ، سافرت الآف الأميال لتحقيقه ، تلفتت تبحث في الأفق ،عن تلك الشعُلات المضيئة ، التي تعودت على وجودها ، متناثرة هنا و هناك ، تُزين مياه الخليج .. فلم تجدها ... تملكتها الحيرة ... ترى أتكون قد أخطأت الطريق .. و لكن دليلها الذاتي ، يؤكد أنه طريقها الصحيح .. فلتستمر على بركة الله هاديها ، و معينها.

تسربت أشعة الشمس ، من خدرها لتسقط على سطح الماء ، تترقرق كقطع من الفضة المتناثرة ، تدفعها تيارات الهواء برفق .. اقتربت أكثر فأكثر .. لاحت لها غمامة سوداء قاتمة لم ترها هنا من قبل ، في هذا الوقت من العام ... هاجمتها طلائع الغمامة ، فحجبت عنها الرؤية ... منعت الهواء عن رئتيها .. اضطرت إلى الهبوط إلى أسفل ، هربا منها ، فلتسترح قليلاً ،على سطح تلك الجزيرة التي ظهرت فجأة أمامها ، تلمع وسط مياه الخليج ، تساءلت متى وُجِدَتْ مثل تلك الجزيرة هنا ؟؟!! ...ترى !! أكون قد ضللت الطريق حقاً ..؟؟!!! إلى هذا المكان المُوحش الذى تملأ سماءه سحب الدخان القاتمة.

انزلقت بسرعة ، مندفعة تطلب الراحة ..و سرعان ما اكتشفت فداحة خطئها القاتل ... ظهرت لها حقيقة تلك الجزيرة الخادعة ....غاصت في لُجْةّ الهلاك الطافية على سطح المياه ، ترى !!!، من فعل تلك الفِعْلَة الشيطانية ، أهي من شياطين الجن أم من فعل شياطين الإنس ؟!! ، في غفلة من الضمير.....!!! تعالت صرخاتها من كُل مكان.. حَاولت الخلاص .. عبثاً دُون جدوى .. تحول ريشها الأبيض الناصع ، إلى سواد قاتم ، مما علق به من النفط ، كانت أي محاولة منها للتخلص مما أصابها ، تزيد من ثقل جسدها ، ذلك الجسد الذى أصابه الوهن ، من طول السفر و امتناعها خلاله عن الطعام ، و سرعان ما خارت قواها ، و توقفت عن المقاومة ، جابت صرخاتُها الأفق ... صرخةّ خرساء لم يسمعها غير خالقُها ، و هي تشتكي إليه من قاتلها.

العجوز و الدار

انكمش على نفسه ، في زاوية الدار، وضع رأسه الأشيب بين ركبتيه الواهنتين ... مرت ساعات وهو على هذه الحال ... رفع رأسه ... نظر حوله ، تظافر الظلام ، مع ضعف بصره فلم ير شيئاً.. قام يتحسس طريقه و أصوات المدافع و الرصاص يدوي حوله ، و صفيرها يدوي في أذنيه .. لم يسمع غيرها منذ أيام ...انقطعت الكهرباء و الماء عن المدينة ... جاء الخراب في أذيال المحتلين ...ردد في تضرع :(حسبي الله و نعم الوكيل) .

خرج أولاده منذ اليوم الثالث من الاجتياح ... ، لم يبق معه في البيت سوى زوجاتهم و الأحفاد ... شح الطعام .. لم يبقى منه إلا النذر اليسير ، تدبرت النساء أمرهن قدر المستطاع .. الأطفال يأكلون أولاً ، ثم العجوز ، وهن في آخر الصف ، شعر بما يجري ، قرر الاقتصاد في طعامه ، فلم يتناول الا القليل منه ... هذا كل ما يستطيع فعله .. و شربة ماء واحدة تطفئ ظمأه .

وقف يصلي ... أفزعته طرقات عنيفة على باب الدار .. بكى الصغار خوفاً ، و ولولت النساء فزعاً ،... جاءوا بأسرع مما تصور ... ازدادت الطرقات على الباب .. لم تجرؤ إحداهن على فتحه ، ازدادت دقات القلوب مع زيادة طرقات القادمين عنفاً ، جمعت أصغرهن شتات نفسها ، تقدمت نحو الباب ، تفتحه قبل أن يتهاوى ، تحت الدفع ، و الطرق

العنيف ، أزاحها أحدهم عن طريقه فطرحها أرضاً ... انكمش الجميع أكثر ..... علا صراخ الصغار .

قال أحدهم بنبرة صاخبة : ابحثوا في كل مكان.

تحسس العجوز طريقه إلى البهو ، و هو يصيح : ماذا تريدون؟

صاح كبيرهم : اصمت .. أين الطحين ... أين تخبؤونه؟

أشار بيده ناحية مخزن المؤن ، و هو يقول : حسبي الله و نعم الوكيل.

قلبوا الدار رأساً على عقب بحثاً .. حملوا معهم كل ما وصلت إليه أيديهم .. تعثر أحدهم في لعبة الصغير ... أخذها .

صاح الصغير : سيارتي.

كتمت أمه صيحته هامسة : لا تخف سيتركها .

لم تسترخ أعصاب الجميع إلا بعد خُروجِهم .. أسرعت أقربهن إلى الباب ، تغلقه بسرعة ، أسرعن إلى حجرة الخزين ، يتفقدن ما بقى فيها...

صاحت إحداهن : سرقوا كل ما تبقى من طعام.

قال العجوز و هو يعود إلى حجرته : يدبرها المولى.

قالت أخرى : لم يعد لنا بقاء هنا.

قالت أكبرهن : اليوم وجدوا ما يأخذونه ، و يعلم الله ، ماذا سيفعلون بنا المرة القادمة

أسرعن يجمعن ما يستطعن من ملابس ، بعد أن تقرر الرحيل ..

رفض العجوز الرحيل ... حاولن إقناعه دون جدوى ، وهو يردد : لن أترك داري أبداً .

قالت أكبرهن في يأس : الدار لم تعد آمنة يا أبي .. لقد عرفوا مكاننا و لن ..

صاح فيها مقاطعاً : ارحلوا أنتم و اتركوني هنا ، لا تقلقوا عليّ سأكون بخير .. اذهبوا ، اذهبوا.

تملكتهن الحيرة .. أرجأن الرحيل .. تجمعن في بهو الدار استلقى الصغار حولهن ، نياماً يلتصقون بأمهاتهم ، يلتمسون الأمان.

أوشكت خيوط الفجر أن تبزغ حين سمعن دقات خافتة على باب الدار .. انصتن .. تكررت الدقات ، فزعن ... نهضن واقفات احتضنت كل منهن صغارها ، قالت كبراهن : لا هذه الطرقات ليست غريبة .. إنها لواحدٍ منا.

أسرعن بفتح الباب .. دخل ياسر ، أغلق الباب خلفه بسرعة ، صرخن في فرح : الحمد لله ... أين كنت ؟ أين إخوانك ؟ التففن حوله ملهوفات ، للاطمئنان عن أزواجهن ، قصّوا عليه ما جرى ، التف الصغار حوله ، ربت على رؤوسهم ، أخذهم في أحضانه.

قال : لابد من الرحيل.

قلن : أبي لا يريد أن يرحل .

يعلم شدة إصرار الأب إذا عزم على أمر ، لن يجسر أحد على مجادلته .

قال : لا تخفن عليه ، سيكون في أمان.

قالت : كيف نتركه وحيداً ؟

قال في حزم : قلت لا تخافي عليه ، سأكون معه دائماً ، و الله معنا.

مع خيوط الفجر ، خرج الجميع ، في موكب حزين ، دون جلبة بعد أن ودعوا العجوز، و هو يتابعهم بعيون دامعة.

دار متنقّلاً في الظلام ، يتحسس خطاه ، في أنحاء الدار ها هو وحيداً في داره ، ملاذه الوحيد ، التي قاسمته أفراحه ، و أتراحه ، سيبقى فيها ، يحرسها من الغاصبين ، هم يطمعون في بيوتنا ، حين نتركها يحتلونها اغتصاباً.

تكور على نفسه ، في زاوية إحدى حجرات الدار بقية النهار ، ثم قام يتحسس طريقه عندما حل الظلام ، الحمد لله ... وجد إحدى الشمعات ، و عود ثقاب ، أنار الدار بعد أن أصبح وحيداً فيه ، عاد ابنه في المساء و معه لفافة بها طعام ، وضعه أمام أبوه ... و لفافة أخرى ، دخل بها إلى حجرته ، و خرج بدونها ، تغافل العجوز عما رأى ، فلم يسأله .. فهو يتوقع ما يمكن أن تحويه مثل تلك اللفافات ، بالتأكيد هي أسلحة ، تحرك القلق بداخله ، تصور ما يمكن أن يحدث ، إذا عاد جنود الاحتلال مرة أخرى ليجدوها ، لن يرحموه و أولاده ، لن يتركوهم يعرف ، فجورهم في الانتقام.

أسرع يبحث عنها بعد خروج ابنه ... جمعها ، تلفت حوله يبحث عن مكان آمن ، لم يتركوا حجرة لم يعبثوا بها ، لم تعد الدار آمنة ، أخذوا كل شيء ، وطأت أقدامهم القذرة كل ركن فيها ، إلا مكاناً واحداً لم يفطنوا إلى وجوده ، إنها حظيرة الدجاج في الباحة الخلفية للدار حفر أرضها ، وضع الأسلحة هناك ... أهال عليها التراب .. سوّاها .. بدر

حبات القمح عليها، أكملت الدجاجات باقي العمل ، خلال بحثها عن حبات القمح .

عاد إلى زاوية الحجرة ، يستريح ، يتمتم بآيات القرآن ليطمئن قلبه بذكر الله .. نام .. استيقظ على طرقاتهم .. ابتسم .. فتح الباب ، ثم أدار لهم ظهره ، و عاد إلى جلسته السابقة في زاوية الحجرة ... و مازالت ابتسامته الساخرة تملأ وجهه ، انتشروا في أرجاء الدار يبحثون .....

صاح قائدهم : أين الباقون؟

تظاهر بعدم السماع .. اقترب منه السائل .. لكزه بمؤخرة البندقية .. نظر إليه في غضب

سأله ثانية في تحدي : أين ؟

قال في تأفف : رحلوا.

قال : و لماذا بقيت أنت ؟

قال : أمر الله .. ماذا أعادكم إلينا ؟

قال : جئنا لنستريح عندك.

اقترب منه أكثر ، يلكزه بمؤخرة البندقية مرّة أخرى .. ندت منه آهه.. كتمها و هو ينظر إليه في غضب

قال آخر : قدم لنا الشاي يا رجل .. هل هذه أصول الضيافة !!

قال في نفسه : أيها الكلاب ، أعرف ماذا جاء بكم ، و هل يعرف أمثالكم أصول الضيافة؟!!!

قال قائدهم : انهض ، أعد لنا الشاي ، انهض !

قال العجوز : لم تتركوا منه شيئاً

أشار إلى جنوده قائلاً : ابحثوا في كل مكان ، أريد أن أشرب شاياً

تفرقوا يبحثون ، ابتسم في اطمئنان ، ليبحثوا ، مما يخاف ، لقد صدق حدسه لقد عرفت أقدامهم طريق الدار، سأله أحدهم ، و هو يتأمل أرجاء الدار : أتبيعني هذه الدار ؟

تجاهل العجوز السؤال ... كرر الجندي سؤاله بصوت أعلى .... استمر العجوز في التجاهل ... و هو يتمتم هامساً : ليس لدينا شيء للبيع ، أنا أبيع داري يا ابن الكلب ؟!!!

تكور على نفسه متظاهراً بالنوم.

قال الجندي : الدار أعجبتني .. سأحضر عمتي القادمة من أستراليا الأسبوع القادم لتسكن فيه .

نظر العجوز إليه في سخط قائلاً : أنا لا أبيع داري .

قال جندي : افعل كما فعل غيرك من أهلك و جيرانك.

قال العجوز غاضباً : لن ينفع معي التهديد مهما فعلتم لن أبيع داري.

قال آخر : وافق يا رجل على البيع أفضل من لا شيء

قال آخر : يمكننا أن نأخذه منك بالقوة .. أنت تعلم ذلك .. لكنك تبدو عنيداً.

قال كبيرهم : أتركه ... سيموت وحده بعد يومين أو ثلاثة ، وتكون الدار لك .

قال آخر : ما رأيكم ، نفعلها الأن و ننتهي منه ؟

سُمع صوت مفتاح الأمان بالبندقية ، يتحرك إلى وضع الاستعداد ، و قد وجهها الجندي إلى رأس العجوز.

قال قائدهم : لا أتركه ، سيموت وحده ، و ادخر الرصاصة التي تقتله بها.

قال آخر : نعم هو هرم ، وأصم ، و أعمي ، سيموت من تلقاء نفسه بعد أيام دون طعام ... سنغلق عليه الباب من الخارج و لن نسمح لأحد أن يدخل عليه .. هيا بنا.

قال قائدهم : اتركوه فلا خوف منه .

خرجوا يقهقهون ، وقفوا أمام الدار يتأملونه من الخارج يباركون لرفيقهم داره الجديدة.

أسرع العجوز إلى حظيرة الدجاج .. تصايحت الدجاجات محتجات حين أزاحها .. عاد مسرعاً ، ليعتلي سطح الدار .. ما زالوا يقفون هناك ، نظر إليهم و هو يقول : سنرى الأن أيها الغاصبون من سيبقي في الدار ... أروني كيف ستأخذونه مني .

دقائق و انهمر بعدها سيل من الرصاص ، و معه صرخاته

: أنا أبيع داري يا أولاد الكلاب ، فليقترب أحدكم منه بعد الآن !!!.

بدد صوت الرصاص ، و صراخ العجوز ، صمت المكان للحظات ، ثم عاد الهدوء مرة أخرى، تحسس طريقه في الظلام أعاد البندقية إلى حيث كانت ، تصايحت الدجاجات محتجات حين أزاحها للمرة الثالثة ، ليضع البندقية مكانها ، أهال التراب مرة أخرى على المكان يخفي معالمه ، هدأت الدجاجات ، و رقدن يستأنفن نومهن ، عاد إلى زاوية الحجرة ، هادئ البال لينام .. مستغرقاً قرير العين.

في الصباح، جاءوا يبحثون عن أفراد التنظيم الذي فعلها ، دخلوا الدار فتشوا كل شبر فيها ، لم يجدوا بها سوى بضع دجاجات في الحظيرة الخلفية للدار ، و عجوز لا يري ، و لا يسمع ، و لا يتكلم ؟؟؟!!! .

فُتحت الجلسة .. رُفعت الجلسة

فُتحت... رُفعت .. كلمتان من أربعة حروف بسطتان في نطقهما بسيطتان في معناهما ، ولكن بينهما يحدث الكثير ، والكثير ، من المعاناة و الألم ...كثيرا ما سألت نفسي ... لماذا يظلم الناس بعضهم بعضاً ؟!! لماذا لا يعيشون جميعاً معاً في سلام ؟؟!! لماذا يسبب البشر لبعضهم البعض الألآم و الهموم .. لماذا أتذكر هذه الأحداث اليوم ؟؟؟ ...سأقص عليكم ما جرى لي .

لم يخطر ببالي يوماً أن أكون في هذا الوضع الغريب ... أن أكون بين شقي الرحى ، لا أعلم مصيري ، نعم مصيري الذي سيتحدد بعد دقائق معدودة ، هل سأعود مع أفراد أسرتي إلى منزلي ، أم أساق إلى السجن ؟؟؟!!!.. نعم السجن .. أنا الآن أجلس في قفص الاتهام الحديدي ، على أريكة خشبية ، و حولي العديد من المتهمين في قضايا مختلفة ، كنت في تلك اللحظات غائبة عما يدور حولي ، راضية بكل إرادتي أن أدخله ، لأثبت براءتي ، كان إيماني في عدل الله ، و براءتي من تلك التهمة التي ألصقت بي كبيرَ ، كان الله في عوني ، و كلمات قرآنه يلهج بها لساني ، كانت عيني مركزة على منصة القضاء ، و كُلي آذان مصغية ، منتبهة لما يدور هناك .... كان همي كله، هو ما سينطق به القاضي من كلمات ، و ما سيقوله محامي ، هناك على المنصّة ثلاثة قضاة ، كنت أنتظر حكمهم عليّ، نعم حكمهم عليّ ، هل سأكون مذنبة في نظرهم أم سيمنحونني البراءة ، كيف وصلت اليوم إلى قاعة المحكمة ؟

صدقوني أنا لا أدري إلى الآن كيف ؟؟!!، الله أعلم .. سأقص عليكم الحكاية من البداية .

بدأت أحداث هذه القضية منذ عشر سنين !!!.. نعم ... عشر سنين !!! حتى غابت أحداثُها عن عقلي.

كان يوم عادي ككل يوم من أيامنا في الغربة نعمل أنا و زوجي ، نحن هنا بعيداً عن الوطن ، منذ تسع سنوات ، نعمل في إحدى الدول العربية ، نجتهد لتأمين القليل من المال ، لأولادنا الثلاثة ، وجلست أنا و زوجي نكتب خطاباً للإدارة في مصر ، أطلب منه اتخاذ إجراءات حصولي على إجازة لسنة جديدة كان يوم جمعة ، و كالعادة كنا في مثل هذا اليوم من كل أسبوع ، ننتظر ضيوفنا من المصريين العاملين معنا أو الذين تعرّفنا عليهم ، كان من بينهم عمي محمود ، و لفيف من الأساتذة زملائه من الموجهين المعارين لوزارة التربية و التعليم ، كانوا جميعاً بدون أسرهم و أحمد عبد الفتاح أحد زملاء عملي بمصر ، أو على الأصح رئيسي ، جاء ليعمل في إحدى الهيئات الأجنبية التربوية هنا ، أصبح لدينا تلك المجموعة الرائعة من الأساتذة الأجلاء يتجمعون كل يوم جمعة ، على وجبه ساخنة من الأكلات المصرية اللذيذة ، أو على وليمة سمك طازج نحضرها من ساحل البحر في الصباح ، كان الجميع حريصين على الحضور ، كأنهم يتنسمون روح الأسرة و الضيافة المصرية في الغربة ، يضُمنا مرح الشخصية المصرية التي تفلسف مآسيها لتحيلها إلى لحظات مرحة ، تجدد فينا حب الحياة ، و تعيننا على تحمل مشقة الغربة ، و بعدنا عن الأهل و الأحباب ، أسعدتنا تلك اللحظات الحميمية فكنا حريصين على تكرارها كل أسبوع .

و ذات يوم جاءنا الأستاذ أحمد في غير يوم الجمعة ، على غير عادته ، و قد ذهب عنه مرحه المعتاد ، كانت زيارته لنا غريبة تركت الكثير من علامات الاستفهام ، سألناه ماذا بك ؟ أحدث شيئاً في العمل هنا أغضبك ؟ أم جاءك خبر غير سار من مصر ؟

تردد الأستاذ أحمد في الإجابة ، ولكن بعد إلحاح ، أخبرنا بأنه تلقى خطاباً من مدير الشئون الإدارية في عملنا في مصر ، يخبره بأنني حُولت إلي محكمة الجنايات ....!!!!

: ماذا ؟؟!!! .... هكذا هتفنا أنا و زوجي.

قلت في ذهول : ماذا تقول يا أستاذ أحمد أنا ؟ لماذا ؟!!!

قال : هل تتذكرين قضية على ؟.

قلت : علي ؟؟ مَنْ علي ؟!

قال : علي رئيس مكتب السيارات في الجهاز .

قلت : آه .. نعم تذكرته ... و لكن ما علاقتي أنا بهذه القضية ؟

قال : جاء اسمك في التحقيق و اعتبروا أنك شريكة له ، و حولوا القضية إلى محكمة الجنايات!!

أصابني الذهول و رحت أردد: ... أنا... أنا ؟ لماذا ؟

قال : لا أعرف هكذا أخبرني مدير الشئون الإدارية لأخبرك لا أكثر ، و لابد لك من العودة الى مصر ، في أسرع وقت حتى تعرفي ماذا حدث ؟.

خيم علينا الذهول ... لم أنطق بكلمة واحدة ، و رحت أردد في ذهول

: أنا لا أعرف شيئاً عن هذه القضية ؟ فلماذا زجوا باسمي فيها ؟ .

بتنا ليلتنا أنا و زوجي لا يعلم غير الله حالنا ، كنا في حيرة ، نضرب أخماساً في أسداس ، ماذا حدث ؟ و كيف و أنا أصلاً لا أعلم شيئاً عن هذه القضية ؟ التي مر عليها أكثر من تسع سنوات .. تذكرت أنني سمعت عنها خلال وجودي على رأس عملي قبل أن أتعاقد مع وزارة التربية و التعليم و سفري إلى هنا ، وقفت أُصلّي ، و دموعي تنهمر ، و شعوري بالظلم يعصف بي ، أكظم غيظي ، و غضبي حتى لا يعلم الأولاد شيئاً ، حتى شعرت بثقل لساني فلم أستطع قراءة القرآن ، و حتى لا أستطيع تفسير قرآني ... لم أعد أستطيع استجماع أفكاري .. أنهيت الصلاة و أشرت إلى زوجي ، بأني لا أستطيع الكلام .. ضمني بين ذراعيه في لهفة و حنان

و قال : لا تخافي .. اهدأي .

في المستشفى .... كان التشخيص (ارتفاعاً شديداً في ضغط الدم أفقدني النطق) ، مكثت في المستشفى عشرة أيام ..حتى انخفض ضغط دمي ، و عاد لي صوتي ، و عادت لي همومي مضاعفة ، زادت حيرتي ... ماذا أفعل ؟

سألت زوجي : ماذا سنفعل ؟ ... وجدته هو الأخر تائهاً في حيرة لا نهاية لها .

قال في هدوء : لا تقلقي ، أنا على يقين ببراءتك من هذا كله ، و عليك الأن أن تنهي عقدك هنا ، و تعودين إلى مصر لتعالجي تلك المشكلة .

في خلال أسبوع كنت قد أنهيت معاملتي مع جهة العمل ، و عدت مسرعة مع أولادي إلى مصر .

في اليوم التالي لوصولي ، عدت إلى العمل ، وجدت كل ما يخصني من أمور وظيفية متوقف تماماً ، و وجدت كثيراً من التعاطف من جميع الزملاء و الرؤساء ، خاصة الذين بدأت العمل معهم منذ سنوات طويلة ، و يعرفون من أنا .... كان إيمانهم ببراءتي عميق ، مما أثلج صدري وشجعني على البحث والتنقيب للوصول إلى حقيقة الأمر، ومعرفة من المتسبب في تلك المصيبة التي حلت بي .

استلمت عملي ، وبعد جلسة مطولة مع رئيس الشئون القانونية ، علمت بعدها ، بعض تفاصيل القضية ، كما علمت أن (مجدي) الموظف الشاب الذي كان يعمل معي ، من مجموعة الخدمات المعاونة ، و كان قد غاب عن ذاكرتي تماماً ، تذكرت (مجدي)هذا ،والذي كنت أكلفه ببعض الأعمال الخاصة برئيس الجهاز ، تذكرت كم كان هذا الشخص ، مُهمل في أداء ما يطلب منه من أعمال ، و كيف كان لا يبالي بنتائج أفعاله ،تذكرت أيضا أنه كان صديق دائم لـ (علي) رئيس مكتب السيارات ، المتهم الأول في هذه القضية ، كانا متلازمين دائما، والأمر الغريب ، أن يأمر رئيس الجهاز بصرف سيارة فيات ، لـ (مجدي) تكون معه طول الوقت ،تذكرت كل هذا الأن ، وأن ظروفي الأسرية في ذلك الوقت ،ووجود أطفال صغار يحتاجون لتواجدي معهم باقي اليوم ، تحتم علىّ العمل ،فترة الصباحية فقط ، ولهذا كنت أعتمد على (مجدي) ليقوم بأعمال المكتب خلال الفترة المسائية ، هكذا بدأت أتذكر الماضي و ما كان يحدث حولي خلال تلك الفترة .

مرت الأيام بي في حيرة ، أنتظر فرج الله ، لا أعرف كيف سأخرج من تلك الضبابية التي غلفت أيامي ، و متي يختفي ما يرسخ في صدري من هموم .

في تلك الأثناء ، أعلنت الإدارة عن منحة مجانية للدراسة في معهد التعاون ، فتجدد الأمل لدى لتحقيق حلمي القديم ، باستكمال تعليمي الجامعي ، تقدمت بطلب للحصول على تلك المنحة ، و كنت الأولى في من يستحقون تلك المنحة ، بحكم أقدميتي الوظيفية ، و رُفض طلبي ، و كان السبب إحالتي للمحاكمة الجنائية ، ثم تقدمت بطلب لترقيتي ، لأحقيتي في الترقية ضمن من تم ترقيتهم من الزملاء ، و رفض طلبي!!! ، و كان السبب أيضاً إحالتي للمحاكمة الجنائية ، و هكذا توقفت كل آمالي و طموحاتي بسبب تلك المحاكمة اللعينة ، التي لا أعلم عنها شيئاً ، و لم أجد من يساعدني في إنهائها ، و إبعاد شبح السجن عني ، كنت أجد زملائي قد تخطوني في الترقية .

كرهت العمل ، و الساعات التي أقضيها فيه ، مكتئبة حزينة لا أعلم كيف أنهي هذه المصيبة التي هبطت على رأسي دون إنذار .

تشاورت مع المستشار القانوني لرئيس الجهاز ، الذي أكد لي إمكانية إعادة فتح ملف القضية مرة أخرى ، يتم فيها أخذ أقوالي ، طالما لم تؤخذ أقوالي من قبل ، و هكذا شجعني رجل القانون ، لتوضيح موقفي ، و إثبات براءتي ، و لذا بدأت أحرك المياه الراكدة ، لأصل إلى الحقيقة ، و الخروج من هذا المأزق الخطير.

تطوع لمساعدتي (محمود) عضو الشئون القانونية ، و كان أكثر المتحمسين لمساعدتي ، كان (محمود) قبل سفري بفترة بسيطة قد عُين بعقدٍ مؤقت ، و تم تعيينه بعد فترة من سفري ، علي درجة دائمة .

ذهبنا سوياً إلى المحامي، الذي يثق به ، على حد قوله ، و الذي اتضح بعد ذلك أنه كان يعمل في مكتبه ، و تمت مقابلتي مع المحامي ، الذي نصحني منذ أول مقابلة ، قبل أن يطلع على الاوراق أو التحقيقات ،

بترك القضية لتسقط تلقائياً ، بعد عشر سنوات ؟؟!! و بالطبع رفضت نصيحته، رفضاً باتاً ، يطلب مني أن أنتظر عشر سنوات لأثبت براءتي ؟!!!!، مستحيل ، طلبت منه تحريك القضية للحصول على براءتي ، و التقدم بطلب للنيابة بناء على طلبي ، بجانب الطلب الذي سيرسل إلى النيابة من جهت عملي ، لأخذ أقوالي ، و إثبات براءتي .

مرت الشهور ، و أنا في انتظار ، أن يبدأ المحامي التحرك في إجراءات الطلب ، تغشاني الهموم ، و الشعور بالظلم ، و كلما سألت (محمود) ، ماذا تم ، يكون رده دائماً : لا تتعجلي ، إن شاء الله خير .

و ذات يوم و بعد أن علمت أن (محمود) يعمل لدى ذلك المحامي ، انتابتني الشكوك في نواياه ، فذهبت أنا و زوجي اليه ، و هناك كانت المفاجئة القاتلة ... المحامي توفى منذ ثلاثة شهور ، برزت علامات استفهام لدينا ، إذاً لماذا لم يخبرني (محمود) بذلك ، لماذا أخفى عني هذا الخبر ، استلمت ملف القضية ، لأبحث عن محامٍ آخر يتولى الأمر ، و في البيت جلست أطالع أوراق التحقيقات التي أجرتها النيابة ، لأبحث عمن زج باسمي في القضية ، عكفنا أنا و زوجي على الأوراق نفحصها ، ونبحث فيها ، و كانت المفاجأة التي وضعت أمامنا أكثر من علامة استفهام ، لم نجد أحداً ممن تم استجوابهم ، ذكر إسمي في تلك التحقيقات ، أو اتهامي بأي تهمة كانت ، إلا (محمود) نعم محمود عضو مكتب الشئون القانونية ، الرجل الذي تطوع لمساعدتي في القضية ؟؟؟!!!! ، و كان الوحيد الذي اتهمني صراحة ، الرجل الذي لم يخبرني بموت المحامي الذي رشحه لي لتولي القضية ، فقط هو من اتهمني بتسهيل استخدام (الخاتم)الخاص بمكتب رئيس الجهاز ، لرئيس مكتب السيارات ، ذلك (الخاتم)، الذي كان بعهدتي ، بعد استلامه من السكرتيرة السابقة و التي استقالت ، حيث أمر بذلك المدير

الإداري المنتدب بنقله لعهدتي ، و كان (الخاتم) مخصص لختم بونات بنزين سيارة الرئيس فقط ، و هو الأمر الذي لم أخالفه أبداً ، كان هذا (الخاتم) لا يستخدم إلا إذا حضر عم (عبد الرازق) سائق سيارة رئيس الجهاز ، لختم بونات تمويل السيارة ، كنت أحتفظ به في مكتبي ، و لم يكن هناك خزينة في المكتب لحفظه بداخلها ، كما كان يجب أن يكون ، هذا الأمر الذي لم أعرفه لقلة خبرتي في بداية حياتي الوظيفية ، و الذي لم ينفذه المدير المالي و الإداري المسئول.

و كلما توغلنا في قراءة محاضر استجواب النيابة للعاملين في الجهاز ، كلما اتضحت لنا أسرار تلك القضية ، و ما أن انتهينا من فحص الملف ، حتى اتضحت لنا أبعاد المؤامرة التي حيكت لي ، و الذي كان ثمنها الذي تقاضاه (محمود) هو تعيينه بواسطة مدير الشئون الادارة، المتورط في الواقعة مقابل عدم الإشارة اليه ،أو زج اسمه في التحقيقات ، نعم الرجل الذي كان بعقد مؤقت ، و تحول بقدرة قادر إلى موظف مُعين على درجة ، قبل جميع أقرانه ، الذين تم التعاقد معهم في نفس التاريخ ؟؟!!! ... ، تبين أن مدير شئون العاملين المنتدب من وزارة أخرى ، هو الأخر ، كان متورطاً مع رئيس مكتب السيارات في تلك الواقعة في بعض البيعات التي تمت لبطاريات السيارات ، و الذي ألغى انتدابه بعد ذلك بشهر ، و (مجدي) الذي استأمنته على مكتبي في غيابي ، هو الأخر فُصل من العمل ، بعد تورطه في واقعة اختلاس بعض المعدات الخاصة بمكتب الرئيس و التي كانت في عهدته الشخصية ، وعندما سألت عن عنوانه ، قيل لي أنه اختفى ، و لا يعلم أحد عنه شيئاً .

و هكذا بدأت الصورة تتضح أمامنا شيئاً فشيئاً ، و علمنا أيضاً أن إجمالي المبالغ المختلسة تزيد عن الثلاثة آلاف جنيه ، من تزوير بونات البنزين، و الزيوت ، و الشحومات ، و بطاريات السيارات ، صرفت

باسم مكاتب الجهاز بالمحافظات المختلفة ، على مدى سنتين ، قبل و بعد سفري ، و بموافقة المدير الإداري ، المنتدب أيضاً ، و الذي تم إلغاء انتدابه بعد تلك الواقعة بشهر .

و هنا قررت اقتحام المشكلة بشجاعة ، كنت أثق في عدل الله ، و في نفسي ، و براءتي ، طلبت من المستشار القانوني مخاطبة النيابة العامة ، لفتح ملف القضية للتحقيق معي ، بناء على طلبي ، و مع المحامي الجديد ، الذي استلم القضية ، فُتحت القضية من جديد ، لتبدأ بخطى سريعة إجراءات إعادتها للمحكمة ، و تحديد تاريخ أولي جلساتها ، و لم يداخلني الخوف لحظة ، كنت مؤمنة بعدل الله ، حذرني المحامي ، أنني سأدخل القفص الحديدي كمتهمة تحاكم أمام محكمة الجنايات ، والتي يحتّم فيها القانون أن أكون موجودة داخل القفص أمام القضاة ، حتى يتم الحكم علىّ في مواجهتي ، هذا هو القانون .. وافقت . كنت مستعدة لتلك المغامرة ، والدخول بكامل إرادتي إلى قفص الاتهام ، لأضع حداً لعذاب الانتظار ، الذي أعانيه وأسرتي .

قلت : أبدأ يا أستاذ و توكل على الله .. أنا مستعدة أن أدخل القفص إن كان هذا هو الطريق لأثبات براءتي ، تري هل يستطيع المحامي إثبات الحقيقة ؟؟؟ الله اعلم !!!!

واليوم ،جلست داخل قفص الاتهام ، في أولى جلسات القضية .. لا أعلم ... هل ستنتهي متاعبي اليوم ؟؟ أم ستبدأ؟؟

جلست على أريكة خشبية ، يلهث لساني بذكر الله ، وقف المحامي أمام منصة القضاة ، قدم مذكرة دفاعه عني ، و طالب ببراءتي مما نسب إليّ ، كانت دقات قلبي تتسارع في صدري وأنفاسي تلهث ، مع لساني بذكر

الله ، نظر إلىّ رئيس المحكمة و قال : عالية ... اقسمي أن تقولين الحق .

هتفت من قلبي : و الله العظيم أقول الحق ....

سأل القاضي : عالية ... ماذا تعلمين عن هذه القضية ؟.

قلت في لهفة : و الله العظيم لم أعلم عنها شيئاً .

سأل القاضي : هل أنت بريئة مما نسب إليك ؟.

قلت في تضرع : و الله العظيم بريئة .

صاح القاضي : رفعت الجلسة للمداولة .

انصرف القضاة إلى غرفة المداولة ، و مكثنا جميعاً في قاعة المحاكمة ، زوجي و أولادي ، و بعض زملاء العمل ، على مقاعد القاعة الخشبية ، و أنا داخل القفص الحديدي، نتبادل نظرات يملأها الرجاء و الأمل ، مرت الدقائق كأنها دهر ، في انتظار تحديد مصيري ، و أنا لاهية عما يدور حولي ، بذكر الله ، حتى علىّ صوت الحاجب ، يعلن دخول هيئة المحكمة لاستئناف وقائع الجلسة ، تعلقت أعيننا جميعا بهم ، وقف المحامون أمام المنصة في انتظار النطق بالأحكام ، راح القاضي يتلو أحكامه في القضايا الواحدة تلو الأخرى ، و نحن في انتظار سماع اسمي ، جاءت الأحكام كلها بالسجن ، على المتهمين ، لم يفتر إيماني برحمة الله ، رغم ما أسمعه من أحكام ، و ما نمي إلى علمنا قبل الجلسة من همسات بأن القاضي شديد في أحكامه ، ... لحظات مرت علينا كالدهر ، ثوانيها لا تتحرك ، حتى حان دوري في آخر القائمة للنطق بالحكم ... كانت دقات قلبي كالطبل تخفق بشدة في صدري ، حبست أنفاسي في انتظار ما سينطق به القاضي ؟؟!!!

حتى سمعت صوته يرتفع باسمي ، و رقم القضية ... ثم قال كلمة واحدة ، كانت روحي معلقة بها ، نطق بالحكم : حكمت المحكمة بالسجن خمس سنوات على المتهم الأول (علي) و على (عالية) بالبراءة.

هتف الجميع في وقت واحد لتضج قاعة المحكمة بالفرحة و الزغاريد : يحيا العدل .. يحيا العدل .. يحيا العدل

انهمرت دموع الفرحة من العيون ...و انتابتني فرحة عارمة غمرت نفسي ، و كياني ، انهمرت دموعي ، وجدت المحامي يتجه إلى القفص ، و الحارس يفتح الباب ، و أنا أنهض بسرعة لأندفع خارجة منه ، غير مصدقة ما حدث ، الله عادل ، لا يرضي بالظلم ، تلقاني المحامي أمام الباب قائلا : الحمد لله لقد اقتنعت هيئة المحكمة ببراءتك من أول جلسة ، كان لساني يلهث بكلمة واحدة (الحمد لله).. بينما كان عدد من رجال الشرطة ، و حاجب المحكمة ، و العاملين في قاعة المحكمة ، ملتفون حول زوجي ، يطالبون بالحلاوة ... و وجدته ينفحهم الكثير من الأوراق المالية في فرحة و هو يردد : الله يبارك فيكم .

تلقاني أولادي بالأحضان و القُبل في فرحة ، تعلقت بذراع زوجي ، و أنا أوجه الشكر للمحامي ، و أسأل : متي سنحصل علي الحكم مكتوباً.

ضحك الرجل و قال : لا تتعجلي ... بعد أربعين يوماً ... هذا هو القانون.

لم يفتر لساني عن حمد الله ، حتى وصلنا إلى المنزل ... أنا الأن اتذكر هذه الأحداث و أحمد الله علي نعمته .هكذا انتهت همومي و آلامي ، أتذكرها بمناسبة ترقيتي اليوم إلى درجة مدير عام .... بفضل الله و رحمته بي ، فُتحت و رُفعت الجلسة في يوم واحد .

دور البطولة

صرخت فرامل السيارة، حين أراد سائقها تفادي الرجل ، الذي وقع أمامها ...سمع سعيد و إبراهيم الصوت ، و كانا قد انهمكا في جدالهما الذي لا ينتهي ، عن معهد التمثيل ، أم كلية الفنون الجميلة ؟... التفتا إلى مصدر الصوت ... هناك سيارة تقف و أمامها رجل ممدد على الأرض .... و سائق هبط منها مضطرباً ليستطلع حقيقة ما ؟... هرول الصديقان و بعض المارة للمساعدة .... منهم من أشفق على المصاب ، و منهم من دفعه فضوله لمعرفة ما حدث ... حاولوا إفاقة الرجل ... في حين أخذ السائق يشرح موقفه... مؤكداً أن الرجل اندفع أمامه فجأة .. أمن البعض على كلامه و اتهمه البعض الأخر بالاندفاع و الرعونة ... حاول الجميع إسعاف المصاب .... مرت ربع ساعة دون جدوى .. لم تسفر محاولاتهم عن تحسن في حالته ، و ظل بدون حراك ... تطوع أحدهم مندفعاً إلى الدكان القريب يطلب سيارة الإسعاف ...مرت ربع ساعة أخرى ... ظهر القلق عليهم ، الجميع في انتظار سيارة الإسعاف ، أو خروج المصاب من إغماءاته .... بعد لحظات فتح المصاب عينيه و سأل ماذا جرى؟... نظر إلى ساعة يده .. نهض متثاقلاً على نفسه دون أن ينتظر إجابة على سؤاله ... نهض في عجلة مستنداً على بعض الواقفين من حوله ، و هو يتمتم ببعض عبارات الاعتذار ... معترفاً بخطئه.... و أنه تأخر عن موعده و لابد له من الانصراف الآن ... صاح السائق في فرح : الحمد لله هو بخير ... أبدى استعداده لتوصيل الرجل إلى حيث يريد .... وافق المصاب ، و هم بركوب السيارة .

صاح صاحب الدكان : إزاي يا جماعة ، و أنا أعمل إيه يعني ، في الآخر أطلع مُبلغ كاذب ؟.. من يحميني من الشرطة ..لا.. لازم يستنى الإسعاف و بعدين يمشي زي ما هو عاوز.

راح المصاب يشرح ظروفه و ارتباطه بموعدٍ هام ، أصر المُبلغ على موقفه ... مما جعل بعض الملتفين حولهم يتدخلون لحل المشكلة .

قال إبراهيم : أتركوه يذهب و لا تعطلوه.

نظر المُبلغ إليه في ضيق قائلاً : إزاي ؟ و مين يحميني ، من محضر البلاغ الكاذب.

رد إبراهيم بحماس : أنا سأحميك .

نظر الجميع إليه في دهشة فأسرع إبراهيم يقول : عندما تحضر سيارة الإسعاف ستجد المصاب و لن تتهمك بشيء .

زادت دهشة الجميع ... اندفع سعيد يجذب ذراع صديقه قائلاً : ما هذا الخرف الذي تقوله ؟!! كيف ستفعل هذا ؟!!.

ضحك إبراهيم قائلاً : اتركني مرة واحدة ، أكون المؤلف ، و المخرج ، و الممثل ، و سأثبت لك إنني كل هؤلاء !!!.

اتحدت رغبة إبراهيم لإثبات قدراته الفنية ، مع رجاء المُصاب في اللحاق بموعده ، مع محاولات السائق التملص من المسئولية ، و رغبة المُبلغ في الاطمئنان على مصيره ... في تشجيع إبراهيم على التمدد على الأرض أمام السيارة ... بين ضحكات بعض الموجودين ... و استهجان بعضهم ، من الدراما الهزلية ... الموقف غريب... و إمعاناً من إبراهيم في إتقان تمثيله ، و لإقناع المشاهدين بحقيقة الوضع ، رقد

في سكونٍ تام ، مغمض العينين ، بعد أن فرد منديله على وجهه.... ابتعد سعيد عن مكان التجمع مراقباً صديقه ، كيف سيتصرف وهو يهتف : متهور كعادتك !!!!

منذ قليل كان إبراهيم يؤكد له مقدرته على تحقيق الكثير في مجال التمثيل ، و أمله في تحقيق ذلك ، بالتحاقه بمعهد التمثيل ، الشيء الوحيد الذي لم يختلفا عليه ، حب إبراهيم للتمثيل و رغبته في الالتحاق بالمعهد بعد ظهور نتيجة الثانوية العامة .. و التي لم يتبقى على ظهورها سوى أيام قليلة .

صوت سيارة الإسعاف يصل من بعيد ، أعادت سعيد إلى واقعه الحالي ، جاءت ومعها سيارة الشرطة .. هرول رجال الإسعاف إلى مكان المصاب ، مرت لحظات ، و الجميع ملتفون حولهم ، يترقبون نتيجة الفحص الطبي ، و نهاية المشهد التمثيلي الذي يقوم به إبراهيم ... بينما قام السائق بدوره بإتقان و راح يشرح ما حدث لرجال الشرطة ، و هو مطمئن أن إبراهيم حين ينهي دور المصاب سينهض ، و يخبرهم بمسئوليته عما حدث ، مما يخلي مسئوليته ، ظل الجميع في انتظار نهوض إبراهيم ، و إسدال الستار علي مسرح القصة الذي طال .. نعم طال أكثر مما ينبغي

هتف سعيد : زودها إبراهيم .

اقترب من الجمع (مستطرداً حديثه مع نفسه) : ألم يكفيه كل هذه الدقائق ، تمثيلاً .

نظر سعيد داخل الدائرة ، كان المسعف يوقع الكشف الطبي على ابراهيم... ثم نهض واقفاً يوجه حديثه لرجال الشرطة : لا فائدة (هكذا قال المسعف) .

ترنح السائق ليسقط مغشياً عليه ..في حين اندفع سعيد إلى حيث يرقد صديقه صائحاً : إبراهيم إبراهيم.

ثم نظر إلى الطبيب متسائلاً في لهفة : جرى له إيه ..؟ حصل له إيه ؟ .

قال الطبيب : البقية في حياتك .

ذُهل سعيد غير مصدق لما حدث !!!..هو يعرف إن عضلة قلب إبراهيم مريضة ، أترى استجابت لهذه التمثيلية و بالغت فيها حتى توقفت عن العمل ؟؟؟!!! بينما هتف الجميع حولهم : لا حول و لا قوة إلا بالله.

زجاجة العطر الصغيرة

أخرجتها من الحقيبة ، زجاجة عطر صغيرة .. نظرت إليها في أسي ، لم يعد بها إلا القليل ، ترى منذ متى و هي هنا في تلك الحقيبة السوداء ؟ سنوات و سنوات ، آه تذكرت يوم أن جاءها و في يده لفافة صغيرة نظر إليها و في عينيه أشواق الدنيا كلها ، قال لها في حب : كل سنة و أنت طيبة

دق قلبها في نشوة سألته : أتتذكر يوم ميلادي

أمسك بيدها بين كفيه في حنان وهو ينظر في عينيها بنظرة حالمة طالما أحبتها و جعلتها تذوب بين يديه حباً و شوقاً قائلاً : هل أنسي يوم مولدي لقد قابلتك في مثل هذا اليوم من عشر سنوات تتذكرين ، يومها شعرت أنها تطير فوق السحاب ، تستنشق عبير الجنة ، و كأن قدميها ليستا على الأرض ، امتلأت عيناها يومها بالدموع من شدة ما تشعر من حب نحو هذا الرجل الذي ملأ حياتها بكل ما تتمناه الأنثى من رجلها

لحظتها ضغطت علي يديه في فرحة ، و هي تقول في دلال : نعم أتذكر

قالتها و هي تهفو إلى ضمات ذراعيه حول خصرها أخرجت زفرة حارة من أعماق صدرها آه ماذا حدث للأيام ؟ إنها اليوم وحيدة ، و هو بعيد بعيد ، تري أين هو الأن ؟ لم تعد تسمع عنه أو تراه ، انقطعت أخباره عنها فجأة ، لم تتعود منه ذلك ، كان حريصاً علي أن يسمع صوتها على الأقل مرة كل أسبوع ، ذهب بعد آخر لقاء بينهما ، علي موعد لقاء جديد ، و لم يعد سنوات و سنوات تعبت من عدها ، رغما

عنها ظلت تحمل له في قلبها أمل في لقائه صدقته في كل ما قال فلماذا تكذبه، تذكرت كلماته لها (لن يمنعني عنك سوى الموت) اقشعر بدنها ، شعرت بالخوف يعتصر أوصالها ، ضمت ذراعيها إلى جسدها ، تحتضن بعضها البعض ، تقاوم الألم ، لحظات تحملها و هي تغمض عينيها حتي زال عنها الخوف و معه الألم ارتخت ذراعها إلى جنبها في وهن ، تري أيكون قد حدث ؟ لا لا سمعت صوتها يرتفع و هي تردد : لا لا

خفق قلبها خوفاً ، ربما قابل حباً آخر ، في مكان ما ، ربما أحب غيرها ربما ؟ ربما حسنا فليكن أما أن يرحل لا لا ... قبضت على زجاجة العطر الصغيرة بين يديها ، تحسسها و كأنها تتحسس جسده لتتأكد أنه مازال حياً ، مررتها قرب أنفها ،... آه كان عطره المفضل أحبته من أجله ، حرصت على أن يكون عطرها دائماً الذي تتعطر به عند لقائه ... آهة أخرجتها من جرابها الفضي ، تري أيمكن أن يأتي ثانياً ، و تراه هو لم يغب عنها لحظة منذ آخر لقاء بينهما ، ترى ما سبب انقطاعه عنها ، ترى أين تسأل عنه ؟ أين ... لم تعرف أبداً له طريقاً ، أو عنواناً ، كان يأتيها كل عام في نفس الموعد و في نفس المكان ، بغير اتفاق بينهما ، و كان يرحل على أمل لقاء قادم في العام التالي ، لم تعلم من أين يأتي ، أوالى أين يذهب ، لم تسأله ، الآن معها لها وحدها ، لن تفسد لحظات لقائهما كي تعرف الشيء الوحيد الذي كان يهمها ، أن تعرف هل يحبها كما تحبه ، يشتاقها كما تشتاقه ، أغمضت عينيها تهفو إلى ملامحه ، لم تنساها ، حرصت طوال أيامها و هو بعيد أن تستحضر ملامح وجهه في ذاكرتها ، كلما اشتاقت إليه ، تتوسل اليه اللقاء ، لتعود الفرحة إلى قلبها و البسمة إلى ثغرها ، و البريق إلى عينيها ، كان لقاؤه ربيعها الذي تزهر فيه ورودها ، و نسمات الدفء التي تدغدغ أوصالها ، كان لها الأمس ، و اليوم ، و أبداً لم يكن لها

أمل في الغد علمت ذلك و أخفته حتى عن نفسها ، خوفاً على لحظات سعادتها بجانبه ، ها هو خوفها قد أصبح الأن حقيقة ذهب و لم يعد، شعرت ببرودةٍ تسري في كفها ، انشق قلبها هلعاً .. احتضنت بعضها ألماً .... و هي تنظر في حزنٍ قاتل ،.... لقد انسكب ما تبّقى في زجاجة العطر دون أن تدري .

عالم افتراضي

تمددت على الأريكة ، و هي تحتضن التاب ، خرجت من صدرها زفرةٌ حارة ، ماذا تنتظر ؟ (سألت نفسها في استنكار) هل تنتظر ظهوره ؟ أم هي حزينة لغيابه ؟ صاحت بصوتٍ عالٍ : أحسن ، أحسن (سألتها نفسها) ، ماذا أحسن ؟ كانت تظن أنها ستستريح برحيله ، و إن هذا أفضل لكليهما ، و لكنها تعرف نفسها إنها تكذب ، فهي تنتظره يملأها الأمل في أن يتواصل معها مرة أخرى و تراه ، عندما فتح نافذته ، و ترى صورته مرة أخرى ، بتلك النظرة الحزينة التي يطل بها على العالم ، ترى أهو حزين على فراقهما ؟أم تلك هي طبيعته ،

(حدثتها نفسها) : افرضي أنه لم يكن موجوداً أصلاً ، اعتبري أنه ،شخص غير موجود في الحقيقة ، فأنا لا أعرفه و لا أعرف عنه شيئاً ، ترى أهو صادق في حبه لها كما يقول ، أم حبه افتراضياً أيضاً ؟ ، مولود اللحظة ، لاحتياجه الشخصي للمشاعر الحميمية الدافئة في غربته، تذكرت ما كتبه لها ، (أحبك ، أشتاقك ، أذوب شوقاً إليك) ، ارتعش جسدها ، و هي تردد تلك الكلمات الناعمة التي تغلغلت في قلبها ، و كيانها ، و حفظتها عن ظهر قلب ، و ظلت تكررها مرة و مرات ، كلما اشتاقت إلى حبات الندى ترطب نفسها المحتاجة إلى الحب ، بسرعة فتحت النافذة لعله عاد ، بحثت عنه خلال النافذتين الوحيدتين اللتان يطل منهما لتراه ، و لكنه للأسف لم يظهر ، فرت دمعة ساخنة على خدها ، هي ليلة واحدة فارقها فيها ، و لكنها استشعرتها ليالي طوال ، ترى أأحبته ؟ أم هو عطشها للحب بعد سنوات الجدب في

حياتها ؟ ، كان طاقة نور سطعت ، في ظلمت أيامها ، جعلتها تنظر إلى مرآتها كثيراً ،(عادت تسأل نفسها) أما زال ممكن لهذا القلب أن يدق للحب مرة أخرى ؟ ، كان من الذكاء أن دخل إلى عالمها الافتراضي مخاطبا الأنثى فيها ، (تساءلت) أهو ذكاء أم احترافيه ، في العلاقات النسائية ، فلو أنه استعمرها عن طريق عقلها أولاً ، ما كانت قد وصلت إلى هذا الحد من الحيرة ، و الحزن الدفين ، الذي سكن قلبها ، و تمدد في أحشائها ، يتلاعب بمشاعرها ، يصعد بها الى قمة النشوى و الراحة ، ثم يعود بها في لحظة إلى ألم الواقع الذي تعيشه ، فتسقط في لُجة التساؤل و الحيرة ، ترى هل تظل مستمرة في الحلم الافتراضي الذي تعيشه معه ؟ بعد أن أصبح وجوده الافتراضي في حياتها ضرورة ، أتظل تبثه شوقها و حبها ؟ هل تتبادل معه لحظات السعادة والحنان كما يفعل هو ، رغم تأكيدها له أنها لن تستطع منحه ما يريد لأنه مخالف لطبيعتها ، طالبته مرارًا و تكراراً أن يخاطب العقل فيها ، و ينسي الأنثى التي عشقها من خلال صورتها ، كانت ستكون سعيدة أكثر لو أنه تواصل معها عبر عقلها و فكرها ، و تناقش معهما نقاش عقلاني ، في كل ما يحب من مناحي الحياة ، كان سيملأ فراغ قلبها بوجوده ، فهي تؤمن أن الصداقة هي التي تدوم في عالمهما الافتراضي ، أما الحب ، و العشق ، و الهيام ، فهي مشاعر لا تتحقق أبداً ، و لن تكون كالمشاعر الحقيقية ، المحسوسة عن طريق التلامس و انبعاث الحرارة في أجسام المحبين لحظة احتضان الأيدي ، فهي موصل جيد للأحاسيس و المشاعر الدافئة المنبعثة من القلوب المشتعلة بنار الحب .

غلبها النوم فنامت و هي تحتضن التاب و كأنها تأخذه في أحضانها المحرومة، من دفء الأحضان ، تحلم به في لحظات نومها تشتاقه كامرأة ، كأنثى ، تتفتح أزهار شبابها لتروى بعد تشقق أرضها من

العطش ، كان نومها قلقاً مضطرب ، وكأن عقلها الباطن لا يرتضي لها الراحة ، لحظات أفاقت بعدها لتنظر إلى النافذة مرة أخرى ... أه لقد فتحها ...

هتفت فيه : ... مخصماك ، وحشتني صباح الخير ..

لم يطاوعها قلبها أن تتركه ينصرف إلى عمله دون أن ترسل له تحيه الصباح ، لقد تعود منها ذلك مع الوردة الجوري الحمراء ،.... و لكنه ظل صامتاً .... لم يبادلها تحية الصباح كما تمنت ، لعله ما زال غاضباً ، أم هو مُصر على موقفه في القطيعة ، عادت تغلق نافذتها ، لتترك له فرصة القرار و قلبها يرتجف من الخوف ، أن يكون قراره هو القطيعة كما قال ، رغم أنه أقسم من قبل أن يذهب ، و لن يعود ، ويمتنع عن التواصل معها ، و لكنه عاد مرة أخرى، ترى أيعود ؟ هذه المرة ، أم سيذهب بدون عودة ، أيحبها حقاً ؟ أم هو خيالها الجامح في العالم الافتراضي ، الذي يصور لها ما تتمنى ...جال في خاطرها ، كلمات نزار قباني (أتراني أحبك ، أم أن حبي افتراضياً) فتلاحقه فيروز قائلة ، (بَعدك على بالي يا حلو و مغرور) .

عادت و سألت قلبها : أتعرفه ؟ ، فيعود إليها الجواب : لا .

إذن ... .كفي ما قاسته من عالمها الافتراضي هذا حتى الأن ، أغلقت النافذة و التاب و هي تقول : أنا لا أحب و لا أحب ، فات الأون ، منذ خمسة عشر عاماً ، ضبطت ساعتها البيولوجية على ساعة استيقاظها في الثامنة صباحاً و لكنها منذ انقطاعه عنها ، وجدت نفسها ، مفتوحة العينين تبحلق في سقف الحجرة ، في السادسة ، و قد تنبهت كل حواسها ، التي تدفعها للنهوض مسرعة من فراشها، هي لا تعرف مقدار فرق التوقيت بين بلدها ، و تلك البلد التي يعيش فيها ؟ ربما

إحساسها يوهمها بذلك ، مؤكد ... فهل يا ترى ستجده هو الأخر مستيقظاً ؟ لا تدري ، إذن فلتبحث عنه ، لعل و عسى أن تجده مستيقظاً هو الأخر ، مازالت عينيها مثقلتان لم يفارقهما النعاس ، ماذا تفعلين يا مجنونة (هكذا هتف فيها عقلها) ، دعها لعل قلبها يكف عن الضجيج ، الذي يقلقنا كل يوم في مثل تلك الساعة المبكرة جداً ، (هكذا هتفت نفسها)

صاح العقل قائلا : و ما ذنبي أنا أن أستيقظ مبكرًا وقد عاهدتني منذ زمن أن أحصل على راحتي كما أشاء ، ..... هي تغافلت عما قاله عقلها ، و سبقت أصابع يدها عقلها ، لتضغط على زر تشغيل تلك الألة الملعونة (الحاسوب) و في نافذته ... وجدته يبتسم بكلمات قالها منذ ست ساعات مضت (تصبحون على خير) ، هتفت مع دقات القلب الشقي ، (و أنت من أهله يا حبيبي) ، (هتف عقلها يصرخ) ترى أكان يقصدك بتلك الكلمات الرقيقة ، أنت واهمة ؟ ، عادت الى نفسها : أكان يفكر في قبل الأن بست ساعات ؟ أم كتبها بشكل عام لكل من يعرفهم ؟ فهم كُثُرُ ، (هتف بها عقلها) : أيها المجنونة هناك باقة من الإناث ، يهرعن إليه للتواصل ، كلما أطل من نافذته ، أوقعها الصراع بين قلبها و عقلها و نفسها مرة أخرى في حيرة لا تنتهي ، أتغارين عليه ؟ ، (هكذا هتف فيها قلبها) ... قالت في استنكار : غيرة ؟؟ هو ده اللي ناقص ، هكذا اكتملت دائرة الحب الافتراضي لديها ، حب و اشتياق و غيرة .. عادت تفكر فيه : ترى متى يستيقظ استعداداً للذهاب إلى عمله ؟ قبل ساعة ؟ أم بعد ذلك بساعة ؟ لا تدري عنه شيء كانت تتمنى أن تعرف عنه أكثر ، و لكن قلبها الغبي لم يطاوعها مرة لتسأله عن أحواله لتعرف عنه كل شيء يعنُ لعقلها يسأل عنه .

كانت هي و قلبها يفضلان أن يستمتعا بكل حرف يكتبه في تلك الدقائق القليلة التي يختلساها من الزمن ، كانت تفضل أن لا تضيعها في السؤال عن أحواله ، بعد أن شعرت ذات مرة أنه يتجاهل الرد على أي تساؤلات تخص حياته الشخصية ، كانت قد عاهدت عقلها أن يتدخل في كل كبيرة و صغيرة في حياتها يلاحقها ، لتكف عن الجري خلف قلبها المتمرد الذي سكن فيه ذلك الشخص الافتراضي منذ فترة قصيرة ، يوم أن بعث لها بأول كلمة حب سمعتها منذ زمن طويل ، يومها دق قلبها بشدة أكبر مما يتحمله و يعتاده ، و بدأ تمرده على عقلها ، إذن هذه الحالة التي انتابتها مؤخراً ، كانت نتيجة لتلك الكلمات السحرية التي سمعتها عبر سماعة التليفون المحمول ، إذن هو مهتم ، و مع ذلك فارقها مرة أخرى دون سابق إنذار ترى أهو يلاوعها لترضخ لما يطلب (هتفت لنفسها) عندما ألقاه لن أطاوع عقلي و سأسأله ، .... عن ماذا تسألين ؟ (هكذا لاحقها عقلها) ... أجابت : لا أدري ، فقط أتمني سماع صوته و لو بخيالي الافتراضي : لا لا

(هتفت مرة أخرى لنفسها) اخرسي أنت ، سأطيع عقلي ، و لن أسأله عن شيء : ارتحت ؟ (هكذا عادت لتهفت في عقلها) حتى يكُف عن الززززززن

عروس الديرة

رغم فرحتي بعُرسها ، كانت تنتابني لحظات حُزن كُلما تصورت بيتنا بدون وفاء ، أختي الكبرى ، والصديقة ، طلبنا من أبي أن يُصلح بهو الدار، ليكون لائقاً بحفل زفافها ، وقفت وفاء و أشارت إلى أحد أركان البهو ، هنا أفضل مكان يمكنني أن أرى الجميع منه ، لمعة عيونها بالفرحة ، فالغد موعد زفافها على ابن عمنا جاسر حلم عمرها .... أعقبت لمعة عينيها ، مسحة قلق ، جعلتها تتجه واجمة إلى النافذة تنظر منها .....

لحقت بها قائلة : ماذا بك؟

قالت : لا شيء سوي انقباضه ، ضاقت لها أنفاسي.

قلت مازحة أخفف عنها قلقها : إنها الفرحة يا أختاه ، غداً اليوم الموعود.

كست وجهها الوردي حُمرة خفيفة ، مع ابتسامة صافية ، زادتها جمالاً ... سهرنا تلك الليلة الى ساعة متأخرة نتسامر ، حتى غفونا ، لنفيق على نعيق البوم و الغربان يطن في أسماعنا ،كانت أصوات المدافع ، و القنابل ، التي انهمرت على القطاع ... تمنع نور الشمس عن أرضنا .. و تطفئ شموع أفراحنا ...لقد اجتاح العدو أطراف بلدتنا ، منذ ساعة .

وقفنا خلف النافذة ، نتابع ما يحدث ، تنهمر دموعنا حسرة على وطننا السليب .. حتى القليل الذي تبقى منه ، يطمعون في احتلاله !!!.

نظرت أختي وفاء ليّ قائلة في حزم : لن أتزوج ما داموا على أرضنا ، و لن تدخل الفرحة

قلبي، و أهلنا مشردون ، لن أتزوج و وطني مُغتصب.

قلت : يا أختي حالنا هذا قد مر عليه سنوات طويلة و لن ينتهي في القريب ... و الحياة لن تتوقف ... ما تقولينه خطأ كبير.

قالت في حزم : هكذا قررت و لن أتراجع ... الآن لي دور أهم أقوم به ... غير أن أكون

عروساً .

جاء إخوتي و معهم بعض رجال الديرة ، يتطاير شرر الغضب من عيونهم ، دخلوا القاعة الداخلية للدار و معهم وفاء ، و أغلقوا الباب خلفهم تجمعوا حول هدفٍ واحد ، هو أنهم لن يتركوا الغاصب ينعم بالراحة .

خرج الجميع الواحد تلو الأخر، و بقيت أنا و أمي في البيت ... أخفى كل منهم سره المقدس عنا ، ليس خوفاً من المعتدين و لكن خوفاً على أمي من القلق .... فكلنا أولاد الأرض التي نبتنا فوقها ، و ترعرعنا على ترابها ، و طعمنا من خيرها .

خرجت وفاء متسللة في المساء ... لم نسألها إلى أين ؟ أو متى تعود ؟ كانت أخبار الاجتياح تصلنا متناثرة ، ظلت أمي تمسك بالمصحف و تقرأ فيه دون انقطاع ... كنت أشعر بخوفها على إخواني .. حتى عادت وفاء في ظهيرة أحد الأيام بعد غياب ثلاثة أيام ، تحمل بعض اللفافات المغلفة بأوراق الهدايا و الشرائط الملونة .

سألتها : ما هذا ؟

قالت و هي تغلق عليهم خزانة ملابسها : ستعرفين فيما بعد.

لم ألح عليها بقيت معنا باقي اليوم واجمة ، لم نندهش لحالها فجميعنا واجمون .. يملانا الأسي و الحزن على ما يحدث لنا ، تتساءل متى تنتهي معاناة شعبنا ، اختفت البسمات من وجوهنا ، و ملأت الدموع المآقي.

في اليوم التالي ، حملت وفاء اللفافات و خرجت و هي تقول : سوف أتصل بكم هاتفياً.

مرت الساعات ، ونحن عُرضة لعواصف القلق ، و الوساوس ، مما يمكن أن يكون قد حدث لها ، أو لأحد من أخواني ... كنت أنظر إلى عيون أمي ، فلا أرى فيها سوى ، الرجاء مع الجَلد ، و الامتثال لأمر الله ...

مع مرور الدقائق ، و الساعات ، يزداد قلقي على الجميع ، حتى جاء صوت وفاء عبر الهاتف : لا تخافي أنا بخير ... قولي لأمي لا تقلق جميعنا بخير .

قلت : متى تعودون ؟

قالت في آناه : الله أعلم سوف أقوم اليوم بعملية لوز.

قلت في دهشة : ماذا تقصدين بعملية لوز؟

قالت في عجلة و هي تغلق الهاتف : لا تأخذي في بالك ، سوف تعرفين في حينه .. مع السلامة.. أردت فقط أن أسمع صوتك .

عصرت الحيرة روحي ، ترى ماذا تنوي وفاء أن تفعل ؟

نظرت إلى أمي التي كانت تتابع الحديث ، ثم سألت : أهي وفاء ؟

قلت : نعم ... و لكن ..

تراجعت عن البوح لأمي بما أفكر فيه ، يكفيها ما تحمله من خوف و قلق ...و لكني وجدتها و كأنها شعرت بما يجول بخاطري.

تقول : الله معها .

لم أجرؤ حتى على النظر من النافذة ، أنتظر عودة وفاء ، فلم يعد الجوار آمنا بعد أن انتشرت ، دبابات العدو في كل مكان يقتلون و ينهبون و يطردون الناس من دورهم ، ثم ينسفونها من أساسها لتصبح كومة من الأحجار.

هتفت من قلبي : يا رب كن في عوننا.

دقائق وسمعنا دويّاً هائلاً أتيا من الجهة الغربية حيث الفندق الكبير الذي اتخذه العدو مركزاً لقواته ... أسرعت دون وعي إلى النافذة أنظر ، كان الدخان الأسود يتصاعد ، معلناً عن نجاح إحدى عمليات المقاومة ، التي بدأها رجالنا ...

صفقت في فرح صائحة : الله اكبر .. الحمد لله.

ملات الدموع عيون أمي و هي تهتف : الحمد لله ... يحميهم ربنا .

حين رن الهاتف بعد قليل كانت وفاء تتحدث ... جاء صوتها فرحاً و كأنها تزغرد

قالت : هل سمعتم ؟.

قلت : نعم .. أظن أنها كانت عملية كبيرة ؟.

قالت : أما قلت لك أنها عملية لوز.

قلت و أنا أصرخ من الفرحة : أهي أنت ؟

قالت في فرح : نعم سأقص عليك التفاصيل حين أعود ... مع السلامة.

قلت : في أمان الله .... الله معكم .

عادت في المساء، و راحت تقص لي بسرعة ، و هي تستبدل ملابسها وتقول في فخر : وضعت لهم علب الهدايا في حجرات الفندق و عند خروجي كاد أحدهم أن يفسد عليّ الخطة ...عندما استوقفني ليسأل : اضطررت الادعاء بأني أعمل في الفندق ... و لم يتركني إلا بعد أن وعدته أن أعود إليه !!!.

عند خروجها ضمتنا في أحضانها أنا و أمي بقوة و هي تقول : أدعوا لنا .

من بين الدموع رأيناها تهبط الدرج بخفة و نشاط ، منذ ذلك اليوم لم تستقر وفاء في مكان ، بعد ان طاردتها قوات العدو ، ليل نهار يطلبونها ... كانت ضربات المقاومة ، للعدو موجعة ، أفقدتهم صوابهم ... داومت على متابعة أخبارها ، من إخواني الذين حرصوا على الاتصال بنا للاطمئنان علينا ، حتى حوصر بيتنا بقوات الغاصبين .. لم تكن وفاء بطبيعة الحال موجودة ... أخذوني ، ساقوني أمامهم في قسوة و عنف ... تاركين أمي ، طعماً يصيدون به وفاء ... استجوبوني ، هددوني بالسجن ، و التعذيب و القتل ليعرفوا مكانها.

قال أحدهم بعد ما يئسوا مني : نحن نعرف عنها كل شيء ... كل شيء ... أين تذهب ، و مع من تعمل ؟.

لمح شبح ابتسامة ساخرة ارتسمت على شفتي رغماً عني .

قال مهدداً : سترين ماذا سنفعل بكم ؟

خرج بعدها ، يرغي ، و يزبد ، من الغيظ ، أغلقوا الباب علىّ ساعات طويلة ، قضيتها نهباً للقلق و الخوف ، مرت كأنها دهراً ، بعدها تركوني أرحل دون مقدمات مما زاد قلقي على وفاء .. يا إلهي إنهم لا يفعلون ذلك إلا إذا ... ترى هل قبضوا على وفاء ... اعتصر قلبي الألم خوفاً عليها .

أسرعت الخطى إلى بيتنا .. كنت أتمنى أن تكون وفاء قد اتصلت بأمي ، للاطمئنان ، كانت عيناي تبحثان عنها في كل مكان بالطريق ...

في البيت تلقتني أمي في أحضانها ، و دموعها تغسل وجهها ، و حولها بعض الجيران و الأقارب ، دامعي العيون ... و هناك وجدتها ترقد ملفوفة بعباءتها السوداء .... عادت إلى البيت الذي كان سيشهد عُرسها ... و لكن دون ثوب زفافها الأبيض ... هناك في نفس المكان الذي اختارته وفاء بنفسها لتجلس فيه يوم عُرسها وقفنا جميعاً ... وقفنا نصلي على جثمانها الطاهر ...و نزفها إلى الوطن السليب .

فرط الرُمان

نظرت عمتي لي ضاحكة و قالت : الرُمان طلع .

صرخت في فرح : فين يا عمتي ؟ عايزة واحدة .

ابتسمت أمي و هي تنهر عمتي في ود : هس .... ما تلفتيش نظر البنت.

قلت : هو فين ؟

قالت زوجة عمى ضاحكة : لسه عمك حا يجيبه و أعطيك منه واحدة .

فرحت يومها ... فقد كنت أحب شكل حباته الياقوتية عندما أتأملها في الماء من خلال زجاج الكوب .. رغم مزازة طعمة كان للمعان حباته سحر عجيب ، انهمكت بعد ذلك في اللعب مع إخوتي و أولاد عمى فوق سطح البيت و من بين شقوق السور الخشبي الذى أقامه جدى حول سطح البيت خوفاً علينا من السقوط ، لمحت دميانه أقرب جاراتي و صديقاتي ، كانت تلعب الأولى (الحجلة) على الرصيف ، أمام باب المندرة التي تسكُنها ، أسرعت أهبط سلالم البيت بسرعة ، لأنضم إليها ، كانت جدتي و بقية نساء الأسرة يجلسن كعادتهن كل صباح ، على الباسطة (الطرقة) الواقعة بين شقتنا و شقة عمتي الصغرى ، يشربن قهوة الصباح ، بعد انتهائهن من تناول وجبة الإفطار ، نظرت أمي إليَ ، و كأنها كانت تعرف ماذا انتويت

و قالت : على فين ؟

أكملت هبوط درجات السلم الباقية حتى مكان جلوسهن ، و أنا أقول : ها لعب مع دميانه الأولى .

و لأول مرة ترفض أمي قائلة : لا .... اطلعي العبي مع أخواتك فوق.

قلت في دهشة : أنا عاوزة العب الأولى مع دميانه .

قالت و هي تزغر لي بعينيها : هي كلمة واحدة .... اطلعي .

يومها تعجبت من تصرفها ، لم أتعود منها هذا الرفض ، لم تمنعني أبداً من اللعب مع دميانه لأنها الصديقة الأقرب لي ماذا جرى؟ .

قالت زوجة عمى مبتسمة : مش قلنا الرمان طلع.

قلت في براءة : و إيه يعنى ؟ هو الرمان يمنع البنات من اللعب في الشارع ؟

قالت جدتي ضاحكة : اتركيها تلعب لسه بدرى.

قالت أمي : لا يا نينه ...لازم تأخذ على كده ، البنت لازم تستخبى .

كانت هذه إحدى عادات الأسر البورسعيدية ، حين تشب البنت ، و تبدأ تقسيمات جسدها في الظهور ، تُمنع من الخروج إلى الشارع ، كان هذا التصرف عادةً يُسعد البنات و يُشعِرهن بأهميتهن ، حيث تشير هذه العادة إلى اقترابهن من سن الزواج ، و لكن أنا لم يُعجبني قول أمي ...و تعجبت ، و غضبت من رفضها ،

استطردت أمي ، و هي مستمرة في نظرتها لي ، و التي كُنت أخافها : أيوه الرمان يمنع ، اطلعى بقه و بلاش غلبه.

صعدت إلى سطح المنزل دامعة العينين ، و رحت أتابع دميانه من شقوق السور الخشبي ، وهى تحجل بين البيوت الوهمية التي رسمناها سوياً ، على بلاط الرصيف أمس ... بكيت يومها كثيراً ، و كرهت الرمان ، الذى يمنع البنات من اللعب ، و رفضت أكله لفترة طويلة .... و الأن و بعد خمسون عاماً ، أشتاق إلى تلك اللحظات الجميلة ، و الحميمة ، التي مرت بي في طفولتي ... و أصبحت أنتظر ظهور الرمان ، في الأسواق لأشتريه و أفرطه ، و أضعه في الكوب الزجاج المملوء بالماء ، و أظل أتأمل لونه الياقوتي الرائع ، و أتذكر تلك اللحظات الرائعة ، بين أفراد أسرتي الكبيرة .

كُل تأخيرة!!!

اندفع من باب البيت مهرولاً إلى الطريق العام ، وقف يبحث عن سيارة أجرة ، تُقلّه إلى محطة الحافلات بموقف (القللي) ، ليستقل أتوبيس الثانية السريع إلى الإسكندرية ، انتابته حالة سخط شديد منذ الأمس ، على كل شيء ، ربما كان بسبب رئيسه في العمل ، المُتعنّت ، الذي أتعبه كثيراً حتى وافق أخيراً على منحه الإجازة ، انتهاءً بصبي المكوجي ، الذي أحضر ملابسه قبل خروجه من البيت بدقائق فقط ، كان حريصاً على أن يكون لديه متسعاً من الوقت ، يُمكنه من الوصول إلى محطة السفر ، في الوقت المناسب

نظر إلى ساعة يده ، قال : لا بأس مازال أمامي ساعة كاملة، ربنا يسهل بسيارة أجرة ، توصلني إلى هناك بسرعة .. انقضت عشرة دقائق ، و هو ما زال ينتظر أن يتوقف له أحد سائقي الأجرة .. شعر بثقل الحقيبة ، وضعها على الرصيف ، نظر حوله .... هناك رجل و امرأة يلوحان لسيارات الأجرة ، حمل الحقيبة مرة أخرى ، و سار مبتعداً عنهما ، طمعاً في فرصة أفضل للفوز بسيارة ، وضع الحقيبة على الأرض مرة أخرى ، لاَمَ نفسه على حمل كل هذ الملابس معه ، هو لن يمكث هناك أكثر من أسبوع ، و في أغلب الأوقات ، سيكون مغموراً في مياه البحر و لن يكون في حاجة ماسة إلى كُل تلك الملابس ، كان يكفيه غيار أو اثنان ، و لباس البحر ، نعم لباس البحر الذي بحث عنه في سوق المدينة أمس حتى عثر عليه و كان بألوان زاهية ، قال عنه البائع (آخر موضة) ، مما جعله يضحي و يدفع فيه مبلغاً ليس بالقليل

حتى يكون لافتاً لنظر الجميلات هناك ، إنها أجازته الأولى التي يقضيها على شاطئ البحر.

هناك لمح إحدى سيارات الأجرة مقبلة ، لوح لها بكلتا يديه كأنه يؤكد أحقيته فيها قبل غيره ، توقفت العربة بعد أن تجاوزته بقليل ، و أصبحت في منتصف المسافة تقريباً بينه ، و بين الرجل و المرأة ، أسرع إلى العربة ، مد يده ليفتح الباب ، نفس الشيء ، فعله الرجل الأخر، لتلتقي يداهما معاً على أكرة الباب ، نظر كلاهما إلى الأخر في حنق ، معتقداً أنه لوح للسيارة قبل الأخر ، تدخل السائق متسائلاً : على فين ؟

قال هو : محطة القللي.

قال الآخر في نفس اللحظة : القللي .

قال السائق في حزم : أركبوا كلكم .

هكذا حل السائق المشكلة ، و على فمه شبح ابتسامة خبيثة ... هكذا ضمن ضعف الأجر ، بتوصيلهم جميعاً مرة واحدة ، أسرع هو مندفعاً داخل السيارة ، بينما تردد الرجل الأخر ناظراً إلى المرأة .. و التي فهم من نظرتها أنها لا تحبذ الركوب مع آخرين .. مما جعله يصفق الباب بشدة و هو يزمجر قائلاً : إتكل على الله يا أسطى .

صاح السائق في حنق : حاسب على الباب يا عم ... إنت حر .

قال هو : ناس متخلفين .. أحسن !!! بسرعة و حياة أبوك يا أسطي كفاية عطلة .

في تكاسلٍ شديد تحرك السائق في طريقه ، وسط زحام شارع رمسيس ، العربات تسد الطريق ، حث السائق ليسرع قليلاً .. راح الأخر يلعن الزحام، و الشوارع التي لم تعد صالحة للسير، و التي تسبب له كثيراً من الخسائر بالسيارة، والسوق السوداء لقطع الغيار، و ارتفاع أسعار المعيشة ، التي لم يعد دخله من هذه المهنة ، يكفي لسد تكاليفها الصعبة ، و مصاريف المدارس ، و الدروس الخصوصية ، و وجع القلب .. آه ... وقف حال ، هكذا ختم السائق شكواه .

فهم قصد السائق ، من تلك القائمة الطويلة من الشكاوى ، و وصلته رسالة مفادها أن الرقم الذي سيُسجله عداد السيارة لا يكفي ، و لابد من زيادة قيمته ، بعد أن ضاع منه الزبون الأخر ، تعمد هو ألا يُعلق ، بشيء على حديثه ، متجاهلاً ما سمعه ، حَوَلَ نظره إلى الطريق ، فلن يفرط فيما معه من نقود ، لقد حاول ضغط مصروفاته حتى تكفيه ، ليستمتع بإجازته ، أقصى استمتاع ، تعود من قبل قضاء أجازته في قريته ، بين أفراد عائلته كانت أجازته تضيع كُلها ، في حل مشكلات الأسرة التي كانت تتراكم ، طول العام ،تنتظر وصوله و كأن المشاكل لا تطفو على السطح ، إلا بقدومِه ، الجميع يؤجل ما عنده حتى يعود الأستاذ ، كان عندهم ، مُصلحاً اجتماعياً ، و المسئول عن راحتهم ... و ينسى الجميع راحته هو ، قرر هذا العام قضاء الإجازة في الإسكندرية، .ليستريح ، بعيداً عما كان ينتظره في قريته ، أخذ بنصيحة زميلة في المكتب ، حتى تكون الإجازة إجازة (على حد تعبير زميله الناصح)

لاحظ ازدياد الزحام في مدخل ميدان رمسيس : ما هذا النحس ... هكذا حدث نفسه في ضيق ، نظر إلى ساعته مرة أخرى ، وجد عقاربها تقترب من الثانية إلا الربع ، لقد اقترب من محطة الركوب ، ضغط على أعصابه حتى لا يطلب من السائق ، سرعة السير .. كيف يسير و

الطريق هكذا ؟؟ السيارات تقف دون حركة ، حتى لو طلب منه ذلك فلن يستطيع التصرف ، أو تغيير خط سيره ، إلى أي اتجاه أخر فعلى اليمين سور يفصل الشارع عن خط سير القطار ، و على يسارهم الاتجاه الأخر من الطريق .. فهم محاصرون الأن في هذا المكان ، و لم يتبق على الساعة الثانية سوي دقائق ، لابد أن يتصرف .

نزل مسرعاً من العربة ، حمل حقيبته ، و هو ينقد السائق أجره ، الذي ظهر على شاشة العداد ، متجاهلاً تلميحاته السابقة ، سمعُه يعترض ، بعد أن عرف حقيقة المبلغ الذي وضعه في يده ... أسرع مبتعداً قبل أن يسمع باقي كلام السائق ، و الدخول معه في مشادة كلامية ... فلم يعد لديه وقت يضيعه ، أسرع مجتازاً الميدان بين السيارات المتوقفة.

كان على بُعد خطوات من المحطة نظر إلى ساعته .. بقى عشر دقائق ... ، رأى إحدى حافلات السفر يتحرك خارجاً من الموقف و كلمة (الإسكندرية) على ظاهر على نافذته الأمامية ، فوجد نفسه يصيح بأعلى صوته منادياً : يا أسطى ... يا أسطى.

كان أمله كبيراً أن يسمعه السائق فيوقف الأتوبيس ، ضاعت صرخاته ، وسط ضجيج و صياح الباعة ، و أصوات نفير السيارات من حوله .... دخل إلى المحطة .. وقف يتصبب عرقاً ، مختلطاً بالأتربة ، و عوادم السيارات المتصاعدة من الطريق ..

صاح في ضيق : أف ..عوضي على الله ضاع يوم من الإجازة ... مافيش غير أتوبيس الثالثة .

تلفت حوله باحثاً عن مكان يجلس فيه ... لم يجد كرسياً خالياً ، اتجه إلى الجزء الصغير المتبقي ، من الظل بجانب كشك ناظر المحطة ، أسند ظهره إليه ، يستريح ... حرارة شمس أغسطس حارقة ، نظر الى

ساعته ، لم تصل بعد إلى الثانية ، زاد سخطه على السائق ، الذي تسرع في مغادرة المحطة ، قبل موعد الإقلاع الرسمي .. و على سائق عربة الأجرة ، الطماع الذي تكاسل في السير ، و صبي المكوجي الذي أخر ملابسه .

أطل ناظر المحطة من نافذة الكشك ، ينادي على بائع العرقسوس ، وجدها فرصة ليشكو سائق عربة الثانية، نظر إليه ناظر المحطة في ضيق قائلاً : إيه يعني طلع بدري خمس دقائق ما جتش ليه بدري شوية !!؟

تدخل باقي الركاب المتخلفين عن عربة الثانية ، فرصة لمعاتبته على هذه الفوضى ، تكاثروا على الناظر ، الذي تراجع قائلاً : كل تأخيرة و فيها خيرة يا جماعة ، كل سنة و أنتم طيبون ...

على عيني كلها شوية و سيارة تلاتة تقوم ، ما فيهاش حاجة ،

حا اوصيه يمشي بسرعة علشان خاطركم .

لم تُفلح دبلوماسية الناظر في امتصاص ثورتهم ، بعد أن تكاتف الحر، و مشقة الوصول إلى المحطة ، و ملل الانتظار ، في تحطيم أعصابهم المُتْعَبة ، تكتلوا جميعا ضده ، احتد الجميع عليه .. مما جعله يسرع بالاختفاء داخل الكشك تفادياً لحدة المواجهة .

جاءت عربة الثالثة ، و في لحظات وجد نفسه ، وسط بحر متلاطم من البشر بعد أن امتلأت العربة بركابها ، و المتخلفين من عربة الثانية ... لمح وسط العربة الرجل و المرأة ، نظر إليهما في حنق ، بادلاه النظرات بمثلها ، كان الاتهام متبادلا بينهم ، كلٌ منهم يرى أن الأخر، كان سبباً في تأخره ، نجحت زيادة حرارة الجو الخانقة ، و تصاعد

رائحة العرق ، المختلط بالدخان المتصاعد من السجائر، في الضغط على أعصاب الجميع .

بدأ السائق رحلته ، مسرعاً بعض الشيء ، وقف هو وسط تلك الكتلة البشرية ، يحلم برائحة البحر المنعشة ، و نسماته الحانية ... أعاده صراخ طفل ضايقه الحر فراح يبكي ، و صوت أمه تهدهده في محاولة لإرضائه ، زكمت أنفه رائحة العرق، ، من كثرة احتكاك الأجسام بعضها ببعض ، صَبْرَ نفسه قائلاً : كله يهون ساعات قليلة ، و أنتعش بمياه البحر ..... استغرق في أفكاره مرة أخرى بعد أن خفت صوت الصغير ، استعاد شرح زميله له عن كيفية تصرفه في الاسكندرية ؟ و كيف يستمتع بالإجازة ؟ أي شاطئ يختار ؟ .. استعاد كل التفاصيل ، حتى لا يضيع شيء من الإجازة ، دون فائدة .... كان الركاب بين حالم مثله ، و أخر أخذته غفوة عين فنام .

شعروا جميعاً بفرملة شديدة للسيارة ، جعلته يترنح بشدة، تشبث بالعمود المثبت في سقف السيارة ، حتى يخفف من شدة اصطدامه بالأجسام الملتصقة به ، و التي مالت جميعها إلى الأمام و صوت صياح السائق : يا ساتر يا رب... يا ساتر .

نظر الجميع من النافذة يستطلعون الخبر .. الزحام شديد ... سيارات كثيرة متوقفة على طول الطريق .. نزل الركاب و هو معهم .. يلعن في سره هذا اليوم النحس ... رأى الناس يجرون هنا و هناك صارخين منادين ، على ذويهم ، في هلع و خوف .. و أخرون يفترشون الأرض في إعياء شديد... وجد نفسه يجري معهم لمساعدة المحتاجين ، شارك مع أخرين في إخراج ركاب سيارة صغيرة ، تهشمت مقدمتها ... جاءت عربة الإسعاف ، حملت المصابين .. نسى الإجازة ، و السفر ، و الإسكندرية ... نظر حوله استوعب ما حدث !! عندما رأى أتوبيس

الثانية يرقد على أحد جانبيه ، في أحضان الصحراء ، و قد التف حوله جمع من الناس يحاولون ، إخراج من تبقى من الركاب ، و الصغار يصرخون رعباً ... اتجه مسرعاً ليقدم العون .... كان يجري بجانبه ذلك الرجل ... ابتسما لبعضهما ، مرحبين ، تلاشت نظرات الحنق التي تبدلاها من قبل ... تعاونا على إخراج عجوز ما زال عالقاً بالسيارة ، بعد أن حُشرت رجله بين مقعدين ، حملاه سوياً حتى سيارة الإسعاف ، عادا مرة أُخرى إلى الأتوبيس ، وجدا سائقها يجلس في ظلها ، واضعاً رأسه بين يديه، صاح فيه : حمد الله على سلامتك.. جات سليمة .

كاد أن يكمل جملته و يقول له (كُنت مستعجلاً .. و تركتنا و رحلت قبل الموعد .. هذا آخرة التسرع) ... أحجم عن استكمال جملته بصوت مسموع ، استكمالها في سره ، يكفي الرجل ما هو فيه ، لقد فعل خير أن تركهم ، و إلا كان من الممكن أن يكون هو ، واحد من المصابين، ولا يعلم غير الله، ماذا كان سيحدث له .. الحمد لله .

صعد الجميع إلى أتوبيس الثالثة .. أفسح الرجال أماكن للنساء و الأطفال ، ليجلسوا ، زادت حرارة الجو مع كثرة الأنفاس اللاهثة ، بالكاد استطاع أن يجد له بضع سنتيمترات يقف فيها ... نظر حوله ... تلاقت عيناه ، بعيني الرجل مرة أخرى .. نظر إليه مبتسماً ... بادله الابتسام ، صحيح كل تأخيرة و فيها خيرة ، قالها لنفسه و قد اتسعت ابتسامته للجميع ، لقد قرر الأن أن يهبط في أول بلد يصل إليها الأتوبيس ، ليستقل سيارة تذهب به إلى قريته !!!!!

ليس بيدي

أفقت و أنا اشعر بخدر قوي في سائر جسدي ... حاولت تحريك ذراعي فلم أستطع ،كان الألم مبرحاً ، .. تلفت حولي لأستكشف المكان .... آه ... أنا أرقد على سرير في مستشفى ، تحيط بذراعي ضمادات .. آه تذكرت الأن ما حدث!!

كم من الوقت مر بي و أنا هنا ؟؟ لا أدري..!! جالت بخاطري أحداث ما وقع اليوم ... نعم أتذكر خروج أبي من البيت ، لأظل أنا و أختي و أولادها وحدنا ، الوقت مساءً ... رن جرس الباب، كُنت أعلم من القادم .. أنها أخت سامح زوج شقيقتي .... و رغم ذلك نظرت من العين السحرية للباب ، لأتأكد من حضورها بمفردها ، فتحت الباب و أنا أقول : تفضلي .

عندما هممت بإغلاق الباب خلفها ، فوجئت بسامح زوج أختي ، يدفع الباب بشدة و يدخل خلف أخته ، كان بين يديه باقة زهور كبيرة ...آه ... كان مختبئاً بعيداً عن نطاق العين السحرية ، كان يعلم، أنني إذا رأيته ، لن أفتح الباب ...استسلمت للوضع ، متمنية أن ترضى عنه أختي و يتصالحا ، نظرت إليه في تخوف ، كان وجهه مكفهراً ، يملأه الغضب ، خطى سامح داخل البيت خطوتين ، و في لحظة خاطفة وجدته يدس يده بين باقة الزهور، ليستل سكيناً كبيراً ، لمع بشدة تحت الأضواء .. دق قلبي خوفاً على أختي و أولادها ، بينما صرخت أخته قائلة : سامح.... حا تعمل إيه ؟!! حا تعمل إيه ؟!! .

حركت ذراعي دون وعي ، آه... ألم شديد.....آه... تذكرت أنني اندفعت في تلك اللحظة لأقف أمامه معترضةً طريقه ...كنت أدفع يده بالسكين بعيداً .... حين وجدته متجهاً ناحية حجرة النوم .. أزاحني بقوة لأقع على الأرض ... و هو يسرع ناحية باب غرفة أمي قائلاً : أين هي ..؟ أين هي لتعرف جناني على حق .. أين هي ؟

صرخت قائلة : يا مجنون ...حا تعمل إيه يا سامح ؟!!.

استدار فجأة ، ليواجهني و هو يصيح : مجنون تاني مجنون.

كانت عيناه تقدحان شراراً.... ثم إنهال عليّ بطعنة تفاديتها بذراعي ، جعلتني أصرخ : آه آه ... الحقوني .. الحقوني .

بخطوات سريعة ، اتجه إلى الغرفة التالية ، التي كانت أختي تنام فيها ، و كانت ، تجلس على السرير ترضع صغيرتها ... نهضت فزعة بعد صرختي ... في اللحظة التي اقتحم سامح فيها الحجرة ، مشهراً السكين في وجهها ... أسرعنا أنا و أخته خلفه رغم ألمي ، نَحُولُ دون وصوله إلى أختي .

في قسوة و تهور أنتزع الصغيرة من بين أحضانها ، ليلقي بها إلى الأرض دون رحمة..... كان في قمة هياج مجنون ، ينهال على صدر أختي بالسكين في طعنات غاشمة ، و هو يصيح : أنا مجنون .. أنا مجنون ، حا تدفعي التمن غالي ...!!..مش حا سيبك ... مش حا سيبك تعيشي ..!!. مش حا سيبك تعيشي ..!!.

أتذكر الأن كيف كانت حياة أختي معه... حين جاء لخطبتها ، رفضته أمي و اعترض عليه أبي ... ولكنها أصرت على الزواج منه ، كان الحب يعمي قلبها، فلم تر نواقصه... و في النهاية ، رضخ والداي

لرغبتها فتزوجته .... كنا نعلم عنه العصبية و الرعونة و عدم تحمل المسئولية ... كانت وسامته ، و أناقته ، و كلامه المعسول قد خلبوا لُب اختي ، و صممت على الزواج منه ، متحدية الجميع .... و بعد الزواج قاست الأمرين .... و على مدى خمس سنوات ، تحملته حتى أصبح لديها ثلاث أبناء آخرهم التي وضعتها منذ أسبوع فقط ... كانت تتحاشى ، أن تعلم أمي ، ما يقع بينهما من مشاحنات و معارك، حتى لا تتدخل إذا رأت آثار الضرب ،على وجهها و جسدها .. كانت شيماء تعلم مدى كراهية أمي له ، وأنها لو علمت بما يحدث ، ستعمل على انفصالها عنه ، كُنت أتعجب من حبها له ، رغم كل ما يفعلُه بها ، كانت تقول لي دائماً : قلبي ليس في يدي ، يا أختي ... لا أستطيع الابتعاد عنه .. أرجوك لا تخبري أبي و أمي بما يحدث ، في يومٍ ما ، سيهديه الله .

يوم الحادث ....علا رنين الهاتف فأسرعت بالرد .. كنت في انتظار مكالمة أمي من إسكندرية .. فهي في مأمورية عمل .. أعرف أنها لن تهدأ حتى تطمئن علينا ، خصوصاً على أختي شيماء ، و لكن أدهشني من كان على الطرف الأخر صوت عليه أخت سامح ، زوج شقيقتي ، كانت تطلب أن تحضر لزيارتنا ... أحترت كيف أعتذر لها لعدم وجود أمي .. و أختي كانت ترفض مقابلة زوجها .... فمازالت غاضبة ، مما فعله بها .. رغم محاولته أكثر من مرة الحضور لمصالحتها ، و لكنها كانت ترفض بشدة .... آخر مكالمة ، رفضت محادثته ... كما رفضت أمي التحدث معه، و صاحت قائلة : أخبريه أنها لن تعود إليه هذا المتهور المجنون .

كنت أمسك بالسماعة و لم أغلق الخط بعد .... سمعته على الطرف الآخر يصيح في عصبية : أنا مجنون ..!!! أنا مجنون !!!... حاضر ... حتعرفوا الجنان إزاي .

جاءت أختي منذ أسبوعين غاضبة بعد شجار عنيف بينهما ، انهال خلاله عليها بالضرب المبرح ، دون مراعاة لضعفها ، كانت في شهرها الأخير من الحمل..... لم يرحم حالها أو حملها ... جاءت مع طفليها في ساعة متأخرة من الليل ، يومها لم تخفي ما حدث عن والدينا .... كُنت أعلم من قبل عنف سامح معها ،

ناقشتها في هذا الأمر كثيراً ... قلت لها : أطلبي الطلاق كفاية كده.

يومها قالت في أسى : ما اقدرش يا ليلي ، طفلين و الثالث جاي ، أسيبه إزاي ... وأنا بحبه مش بإيدي.

يَئِسْتُ من نقاشي معها ، و من محاولة إقناعها بأن سامح لن ينصلح حاله أبدا..... آه ... حركت ذراعي للمرة الثانية رغم عني ... آه ... ولكني لا أعلم حتى الأن ماذا حدث لأختي ؟؟؟ ... كُنتُ أنا في تلك اللحظة ملقاة على الأرض أعاني من الألم ، و هي تحاول تفادي ضرباته ، دون جدوى ... لحظات قليلة ، بعدها راحت تترنح في كل الاتجاهات ، كالذبيحة التي لم يرحمها الجزار ، لتسقط في النهاية على الأرض غارقة في دمائها ، التي غطت أجزاء كثيرة من مفرش السرير و حائط الحجرة ... توقف عقلي عن التفكير في شلل حل بكل كياني ، و قد عصرتني يد الخوف ، بينما كانت الطرقات ، على الباب المنزل تزداد عنفاً مع صرخات أخت سامح التي لم تنقطع .....آه .. حتى شعُرت لحظتها بالحجرة تدور بي في دوامة ، لا آخر لها أخذتني، في إغماءة ، لم أفق منها إلا الأن و لم أدر بعدها ماذا دار حولي .

دقات خافته على الباب ، انفتح بعدها لأجد أبي و أمي ، و معهما أبناء أختي ، الذين التفوا حول سريري ملهوفين ... مددت يدي إلى أمي أستنجد بها : أمي .. ماذا حدث ؟ أين شيماء ... أين أختي ؟؟؟ لم أسمع منهم رداً ... لم أسمع منهم سوى بكاءً شديداً !!!!.أغمضت عيني ، بعد أن علمت مصير أختي رحمها الله !!!!

ناس التروللي باص

قتلاً للوقت ، رحت أراقب تعبيرات وجوه من حولي من ركاب التروللي باص ، المسافة بين ميدان الجيش حتى شارع القصر العيني تستغرق حوالى الساعة ، هذا لو حالفنا الحظ ، و لم ينقطع التيار الكهربائي عن المركبة ، من مصدره الرئيسي، ، فيصبح جثة هامدة بلا حراك ، و نحن الركاب الغلابة صابرون ، مضطرين لذلك ، أو في بعض الأحيان ينقطع التيار بفعل الصغار الذين يغريهم تسلق مؤخرة المركبة و الجلوس على (الرفرف) و العبث بحبل السنجة (الجزء الذي ينقل التيار الكهربائي إلى الأسلاك العلوية المشدودة على طول الطريق) ذلك الحبل المتدلي إلى أسفل ، سواء للقفز بسهولة لركوب الرفرف ، أو للقفز من عليه هابطين في المكان الذى يحلو لهم الوصول إليه ذكاءً فطرياً من أطفالنا الأشقياء ، رغم خطورته عليهم ، و هنا يأتي دور الكمساري المسكين الذى يضطر كل فترة الى الهبوط من المركبة ، و هو يمطرهم باللعنات ، هم ومن خَلْفُهُم (خِلْفة عفريت) هكذا ينفث عن ضيقه منهم ثم يعيد السنجة مرة أخرى إلى مكانها على الأسلاك ، ليستأنف السير، كان التروللي باص هو الوسيلة المفضلة لدينا ، وسيلة مريحة و أسرع من الترام ، تقلنا إلى مقار أعمالنا ، فخط سيره يبدأ من ميدان العباسية ، مما يتيح لنا فرصة الحصول على كراسي خالية من أول الخط نجلس عليها قبل الزحام.

و في أيام الشتاء القارس يهرب الجميع من برد الشارع إلى زحام المركبة طلبًا للدفء ، راضين بحركته البطيئة و سيره الناعم ، الذى

يمنحهم فرصة إغفاءة نوم قلقة ، يوقظهم منها بين الفنية و الأخرى صوت الكمساري هاتفاً " تذاكر ... تذاكر "، أو حين يعلن عن اسم المحطة القادمة منبهاً النائمين.

كان من عادتنا نحن سكان حي العباسية ، في السبعينات ، التواصل في حميمية جميلة مع بعضنا البعض ، يفتقده جيل هذه الأيام ، تواصل غير متفق عليه ، طبيعي ينبع من طيبة القلوب المفعمة بالرضا ، تنبع من نفوس صافية ، فغالبا ما نكون زملاء دراسة أو عمل ، أو جيران شارع ، أو سكان بيت واحد ، لم نكن نشعر أبدا بالغربة ، حين نلتقى صباح كل يوم على محطة الركوب ، بل كنا نتواعد على اللقاء ، نتبادل الحديث بمودة و أخوة صادقة ، دون أن نعرف أسماء بعضنا ، يكفى أننا نسكن حياً واحداً ، فهو جواز المرور إلى القلوب ، حتى الكمسارى ، يكاد يعرف كل الركاب فيتبادل معنا تحية الصباح كأننا أولاده أو إخوته ، كان هذا الشعور يزيدنا حبوراً و اطمئنانا ، لدرجة أن الرجل كان كثيراً ما يتغاضى عن طلب ثمن تذكرة الركوب من الصغار الذاهبين إلى مدارسهم ، محبة منه و طيبة .

و لأنني لم أعتد النوم في وسائل المواصلات ، كانت فرصتي لأنفرد بأفكاري ، متأملة وجوه الركاب حولي ، كانت أكثر تلك الوجوه مألوفة لدى لتكرار ركوبنا ، نفس وسيلة المواصلات ، في نفس الموعد ، و من نفس المحطة ، كنت أتأملهم واحداً بعد الأخر ، بحثا عن معانى التعبيرات المرسومة على وجوههم ، لأطبقْ نظرية جدتي رحمها الله ، التي كانت تنطوي على كثير من الحكم الصائبة ، قالت لي يوماً " إن الوجوه تنم عما بداخل النفس ، فإذا كان الأنسان طيب القلب ظهرت ضحكته جميلة ، أما إذا كان خبيث النفس زادته ضحكته قبحاً ، حاولت يومها ترجمة تلك الكلمات إلى واقع ملموس من خلال تأملاتي لوجوه

من حولي من الركاب ، فهذا الرجل سمح الوجه بشوش " فهو رجل طيب ، و الأخر نكدى فلم أره يضحك أبداً ، و لا حتى يبتسم على ما يسمعه من تعليقات و أحاديث بين الركاب ،" فهو بالتأكيد خبيث النفس " أما الثالث الذى تعود أن يقف بجانب السائق ، يرتدى بالطو كاكى بلون ملابس رجال الجيش ، لا يظهر على وجهه أي تعبير ، و نظراته دائمة التجوال بين الركاب ، كأنه يبحث عن شيء ما ، ثم يهبط في المحطة التالية ، كنت أراه يومياً يصعد من محطة و يهبط في المحطة التالية ، يتبادل تحية الصباح مع السائق و الكمساري ، و من تكرار هذا الموقف يومياً تيقنت أنه مُخبر شرطة، أما الرابع ، فهو لم نسترح لمظهره ، أطلقنا عليه أنا و صديقتي " المِلَزّقْ ، لمظهره المبالغ في أناقته ، و قميصه المشجر ، و شعره اللامع أبداً ، كنت أشعر باشمئزاز حين أراه ، كان دائم الوقوف على باب المركبة ، ينفح السائق سيجارة ضامناً صداقته ، و التغاضي عما يفعله بعد ذلك ، من تحرش بكل امرأة تصعد ، أو تهبط في خبث ، و بين الحين ، والحين يتبادل والسائق ، كلمة هامسة ،تنطلق بعدها ضحكاتهما مجلجلة ، ثم يهبط مسرعاً متفادياً سخط الركاب من أفعاله، حين يستشعر تزمرهم ، أو يهم أحدهم بالاشتباك معه.

بعد فترة من الزمن مللت تلك اللعبة و بدأت محاولة تفسير ما تحمله تلك الوجوه من مشاعر ، أتأملها و أتساءل ... ترى ماذا تحمل هذه الوجوه من أسرار و مشاعر إنسانية ...؟ أتنم كلها على ما يجيش في نفوس أصحابها ؟ أم منهم من يستطيع إخفاء ما بداخله ؟

نظرت حولي أتفرس في أقرب الوجوه ، حتى وقعت عيني عليه رجل مسن ، احتلت وجهه التجاعيد و خطت عليه ضغوط الزمن مساراتها العميقة ، و سطرت عليه حكاياتها ، وجدته و قد ركز عينيه الضيقتين

بإعجاب و زهو ، يتأمل وجه شاب يقف أمامه ، يتجاذب أطراف الحديث مع رفيقه ، يتكلم بحماس شديد ، كان العجوز ينظر إليه في حنان ، و قد انبسطت أساريره بابتسامة ، تزداد اتساعاً ، كلما زاد حماس الشاب ، حاولت تفسير تلك الابتسامة ، أهي سخرية من حماسة شباب هذه الأيام ، أم هي ابتسامة أعجاب به ، أطلقت لفكري العنان ، أتخيل أنه ربما أعاد هذا الموقف للعجوز ذكرى أيام شبابه ، يوم كان ممتلئاً حيوية و نشاطاً مثل هذا الشاب أم كان مثله متحمساً لقضاياه ؟ كان تارة يضحك و يشارك في الحديث ، و تارة أخرى تظهر على وجهه علامات الاستنكار و المعارضة ، و بعد لحظات أجده ، يهز رأسه بموافقة على ما قيل ، و مازالت على هذا الحال حتى وجدت الشاب ، و قد مد يده ليساعد العجوز على الوقوف استعدادا للنزول من المركبة و العجوز يتكئ على ساعد الشاب في اطمئنان ، أدركت في تلك اللحظة ما كانت تنم عنه أسارير العجوز و ما كان يدور في فكره ، عرفت الأن معنى تلك التعبيرات ، بالتأكيد كان فرحاً و هو يرى صورة شبابه متجسدةً أمامه مرة أخرى في ابنه.

وردة يا بيه ؟!!

بلغت بها الحيرة ذروتها ، بعد أن وجدت يد زوجها قصيرة ، فهو رجل مريض ، لا يستطيع فعل أكثر مما يفعل الأن ليفي بطلبات أسرته ، التي تزداد يوماً بعد يوم ، و أصبحت الحياة في صعوبة متصاعدة ،وهى لا تملك من متاع الدنيا، شيئا يُذكر، يمكنها الاعتماد عليه ، لم يعد في مقدورها الاعتماد إلا على صحتها ، فهي مازالت شابة في الثلاثين ، و كعادة المرأة المصرية المكافحة ، فكرت (ابتسام) كثيراً حتى هداها تفكيرها ، و وصلت إلى قرار ، و هو أن تعمل بائعة ورد ، مثل باقي جاراتها ، كن يدرن بعقود الفل والورد على كورنيش النيل و الحدائق ، التي يرتادها الناس في مساء ليالي الصيف الحارة ، و في ليالي الشتاء الباردة ، كن يستبدلن الورود بإناء (حمص الشام الساخن) ، كانت هذه المهنة مناسبة لها ، حيث كان عليها رعاية زوجها المريض ، و أطفالها ، في فترة الصباح ، لذا اختارتها ، فهي لا تحتاج إلا ابتسامة جميلة تضعها على شفتيها ، رغم ما يملأ قلبها من هموم ، و مهما كان في حياتها من بؤس و شقاء.

مرت الأيام و هي تحصل بالكاد على ما يسد رمق أسرتها ، و لكنها كانت راضية ، بما يقسمه الله لهم ، كانت كثيراً ما تقابل العديد من الناس ألواناً و أشكالاً ، كان أكثرهم في حالة غرام و حب ، فكانت الزهور تزيد لحظات الحُب و الارتباط و المودة بينهم

، و إما في حالة الشجار و الغضب ، فتبيعهما وردة أو باقة فل ، تكون رسول السلام بينهم حتى تعود المياه إلى مجاريها و يعود الحب إلى ما كان .

و في إحدى ليالي الصيف مع نسيمها الحاني ، رأتهما فتاة و فتى في مقتبل العمر ، يجلسان متجاورين في حالة من هيام و عشق ، كانت تلك الحالات هي التي تدر عليها الكثير من الربح ، اقتربت منهما بهدوء ، و هي تقول : اشتري مني وردة يا بيه ، إلهي يخلي لك الأمورة دي .

لمحت في أصابعهما دبلة الخطوبة ، نظر الشاب إليها في ود ، و تناول منها باقة الفل التي تتوسطها وردة حمراء ، ثم نفحها جنيها

قدم باقة الفل لفتاته ، مع ابتسامة حانية ، تناولتها و هي ساهمة تتأمل (ابتسام) في تمعن غريب ، بينما كانت هي منشغلة بإخراج باقي المبلغ من جيبها ، و فجأة انفجرت الفتاة في البكاء ، و هي تنظر إليها ، تجمدت يد (ابتسام) الممدودة بالنقود في المسافة بينها و بين الشاب ، الذي راح يربت على رأس خطيبته و هو يقول : صلي على النبي ... اقرأي الفاتحة لروحها .

نظرت (ابتسام) إليها في دهشة و قالت : الأمورة بتعيط ليه ؟

قال بينما أزاح يدها بالنقود : خللي الباقي علشانك ، لأ مفيش أصلك تشبهين أمها الله يرحمها.

شعرت (ابتسام) في تلك اللحظة بقشعريرة تغمر جسدها ، تصورت ابنتها هي التي تبكيها ، تدفق الحنان إلى قلبها ، فمدت

يدها تربت على رأس الفتاة و هي تقول : رحمها الله و تعيشي و تفتكريها.

مسحت الفتاة دموعها و هي تبتسم و تقول : ربنا يعطيكِ طول العمر.

ظلت الفتاة و الفتي حريصين على مقابلة (ابتسام) كلما حضرا إلى ، ليشتري الشاب باقة الفل منها ، في الصيف و في ليالي الشتاء كانا يحتضنان كوبي (حمص الشام الساخن) يدفئان كفيهما و يتبادلان نظرات الحب فيدفئان قلبيهما .

إبليس في إجازة

تجمّع عددٌ غفيرٌ من أبالسةِ الشياطين في منتداهم الأسبوعي ، و خلفهم لوحة كبيرة كُتب عليها ، " مؤتمر مناقشة مدى حاجة الأنسان لوسوسة الشيطان " و معهم كبيرهم إبليس ، الذي جاء في زيارة إلى الشرق الأوسط .

جلس إبليس مسنداً رأسه إلى يده في يأس ، حزيناً حائراً ، ثم نهض واقفاً ينظر إليهم في يأس

و قال : لا أمل فيكم ، لقد تفوّق ابن آدم عليكم ، و لم يعد في حاجة إليكم .

انفجر الجميع في غضب ، و انطلق الشرر من عيونهم و هم يلوّحون : لا تقل ذلك يا كبيرنا.

قال الأول : لا يمكن أن نتركه يفعل ذلك بنا .

قال الثاني : لابد من حل .

قال الثالث : و ماذا سنفعل ؟.

قال إبليس (في سخرية) : اجلسوا على شواطئ البحار و في الصحارى و القفار و الخرائب المحببة إليكم ..... و ارتاحوا .... بل خذوا إجازة طويلة حتى إشعار آخر .

تبادل الجميع النظرات فيما بينهم ، و قد ازدادت حيرتهم، فهم لم يعتادوا على الإجازات و لا الراحة ، و اليوم يطلب منهم كبيرهم أن يأخذوا إجازة إجبارية لا يعلمون متى تنتهى .

قال أحدهم : ربما نحن فقط هنا في هذه البقعة من الأرض ، يعترض الأنسان طريقنا ، و يتفوّق علينا ، فلندع إلى مؤتمر عالمي ، نتبادل فيه الآراء و الخبرات ، و نصل إلى حلولٍ تُخْرِجُنا من هذا المأزق .

قال آخر : لن يفيدنا هذا ، أنتم تعلمون نتائج المؤتمرات التي تُقام و لا ينتج عنها سوى استعراض العضلات و المظاهر الكذابة ، و انشغال الإعلام المرئي و المسموع بها ، و الولائم التي تقام على هامش المؤتمرات ، و الاجتماعات الجانبية التي تستمر لعدة أيام ، ثم ينفض المؤتمر بعدها دون نتائج محسوسة.

قال إبليس : كما تعلمون أن جدنا الأكبر " عزازيل " ، فسق عن أمر ربه ، بكِبره ، و غروره و إصراره ، على المعصيةِ ، و كان مبرره إن الله - سبحانه وتعالي - خلق الأنسان من الطين و خُلقنا من نار ، أي أننا عنصر أفضل من بنى أدم ، فنحن نمتاز عليه بأشياء كثيرة ، و لدينا قدرات لا يمتلكها الانسان ، لقد تحمل جدنا الأكبر تبعات معصية الله – سبحانه و تعالي _ ، و طُرد من الجنة ، و من رحمة الله – سبحانه وتعالي - و الأن نجد أن بني آدم تفوقوا علينا ، و أصبحنا لا نغريه بمعصية أمر ربنا بوقوعه في الخطيئة.

: فكيف تطلب منّا أن نترك بني أدم يتفوقون علينا و نجلس هكذا مكتوفي الأيدي ؟ .

: نحن مهمتنا هي نشر المعصية و الإفساد في الأرض ، و بنى آدم الأن ينافسنا و يقوم بعملنا

نيابة عنا في همة و نشاط .

قال إبليس : و أنتم تتركونه يسلِبكم مُهمَتِكُم ، و يقوم بعملكم ، و تجلسون هنا هكذا ؟؟ لقد أصبحتم جيلاً رخواً لا يُعتمد عليه ، أما تخافون غضب جدكم إبليس الكبير ؟؟ لقد خلقنا الله نمتاز عن بنى آدم كما تعلمون بسرعة الحركة و خفّتها فهو لا يراكم من حيث ترونه ، و لا يستطيع أن يصعد ارتفاعات عالية كما تفعلون ، أنتم تخترقون الجدران، و تدخلون الأماكن المغلقة متى أردتم دون عناء .

: لا تنسوا أن هذه الميزات تكمن في المادة التي خلقنا الله منها ، و يمكنه - سبحانه و تعالى -

إن شاء ، أن يَسلُبنا ميزة هذه العناصر ، فنصبح من الخاسرين.

عم الهرج و المرج بين الجميع ، و أصبحوا كتلة من النار، يتطاير شررها في كل اتجاه ، و احمرّت عيونهم غضباً

صاح أحدهم : اسمعوا ، إن فكرة المؤتمر العالمي هذا لم تعجبني، و لن نستفيد منه كثيراً ، ما رأيكم أن نستعرض أعمال بني آدم

عموماً نتيجة ثم نستعرض مجهوداتنا معه ، و نرى إلى أي مدى نجاحنا في التعامل معهم من طبائعهم ، كالطمع مثلاً.

قال إبليس : ستجدونهم أكثر تفوقاً منكم ، في هذا الجانب من طبائعهم ، حتى دون تدخلكم لتوسوسوا لهم فهم يملكون نفساً أمارةً بالسوءِ .

: و لماذا نذهب بعيداً ، فنحن الأن لدينا الكثير من النماذج التي تظهر جلياً ، تعالوا نستعرض ما

تفعله جماعة جديدة هي في الحقيقة ليست بجديدة ، فقد أُطلق عليهم في الماضي " الخوارج "

و لكنهم يُسمون أنفسهم في الوقت الحاضر " جماعة داعش " أو " النصرة " و أسماء أخري كثيرة .

صاح الجميع : نعم .. نعم ... إنهم منتشرون في أكثر من مكان على الأرض .

قال إبليس : نعم أعرفهم .. إنهم يدّعون أنهم مسلمون ، يدافعون عن الإسلام و هم في الحقيقة أبعد ما يكونون عنه .

: إني أشك في أنهم فرع من أبالسة لا نعرفهم و لكنهم متفوّقون علينا .

: أو هم يأتون من الفضاء الجارحي ، فلديهم أفكار لم تخطر على فكرنا نحن شياطين الأرض.

: نعم .. سمعت إنهم يقرأون الإسلام من نعله و لا يقرؤونه من رأسه ، أي ربما لا يعلمون عن الإسلام شيئاً .

: نعم إنهم هاهاها ، يقرؤونه بالمقلوب كما يقول العوام في مصر.

ضجت القاعة بالضحك و الصياح

قال إبليس : إنها جماعة تتلوا القرآن ، و لا يجاوز حناجرهم ، أي لا يصل أبداً إلى قلوبهم ، فيهذبها ، و يرققها ، و ينقيها ، فهو لا يصل إلى عقولهم ، فتدرك و تتعلم فقهه ، و المآلات ، و النتائج ، أو فقه الأولويات ، و فقه المصالح ، و المفاسد ، أو أي فقه آخر يفيد البشرية.

: إنهم يدعون أنفسهم " تنظيم الدولة الاسلامية " ، يريدون أن يقيموا الدولة الاسلامية ، على طريقتهم ، و بمفهومهم ، و يقطعون رؤوس من يخالفهم في الرأي ، أو يحارب ضدهم .

: لقد حضرت إحدى جرائمهم هذه ، يوم أن ساقوا مجموعة من الرجال أمامهم على شاطئ البحر ، في ملابس حمراء تعطي الإيحاء بالإعدام الحتمي ، يسوق كل منهم ضحيته أمامه مكبّلة اليدين خلف الظهر ، و في يد كل منهم سكيناً كبير الحجم ، يلمع في ضوء الشمس ، يسوقونهم كالماشية ، و هم مستسلمون ، في صورة غير طبيعية ، لا يحركون ساكناً ، و كأنهم مخدّرون ، بنفوس متعبة ، و وجوه مصفرة ، كأمواتٍ خرجوا من القبور، و يسوقونهم في صف طويل ، كأنها إحدى الجنازات إلى المقبرة .

قال إبليس : يا الله ماذا يفعل هؤلاء الأغبياء ، إن (الإمام أحمد بن حنبل) ، كان يدعو في كتب الفقه إلى معاملة الشاة قبل ذبحها ، معاملة خاصة ، حيث يقول : " تُقاد إلى الذبح قوداً رفيقاً ، و توارى السكين عنها ، و لا تظهر إلا عند الذبح ".

: أما ترون أنه من الغريب ، أننا معشر الأبالسة ، نحفظ كل هذا عن دينهم ، و هم لا يفهمون فقههم !!!!

قال إبليس : أما قلنا سابقاً ، أنهم يقرؤون الإسلام بالمقلوب هاهاها ، و لا يقرؤونه من رأسه.

: و أنا أيضاً حضرت منذ أيام أحد جرائمهم ، و أقسم برأس جدي الكبير (عزازيل)، بأنني لم أوسوس لهم ، بهذه الوسيلة للقتل ، لقد فعلوها هم بأنفسهم ، و أنا أعترف أن هذه الفعلة ، لم تخطر على بالي أبداً .

قال إبليس : احكِ لنا ما حدث !

: لقد سقطت إحدى الطائرات في محافظة الرقة بشمال سوريا... كان الطيار الأسير في إحدى طلعاته ، و أوقعه حظه العاثر ، في الأسر لديهم ، إنه بحق شجاعاً ، شامخ الرأس ، لم يهتز ، و لم يخف ، رأيتهم يأسرونه و يضعونه في قفصٍ حديدي ... وقفت حائراً أنظر في دهشة ، أسأل نفسي : ماذا يفعل هؤلاء ؟ ، لم أفهم مغزى تلك التصرفات الآدمية الغريبة ؟!.

قال إبليس : ربما يخافون هروبه ؟

: يخافون هربه ؟ إلى أين ؟ إن كل ما حولهم صحراء ، فهم لا يعيشون إلا في الجحور مثل الجرذان ، و الخيام في الصحراء ، و كان من الممكن أن يضعوه في أي خيمة من خيامهم .

قال إبليس : شيء غريب !!

: لقد تعجبت في بادئ الأمر مثلكم يا سيدي .. و لكن بعد أيام عرفت السبب....!!! في الحقيقة يا سيدي كنت معجباً به و تمنيت أن يهرب منهم ، و ينجو من مصيره الرهيب بين هؤلاء الشياطين .... أسف .... لا أقصد إهانتكم ..... أقصد هؤلاء الذين أصبحوا يشبهون الجلادين بملابسهم السوداء و غطاء وجوههم الكئيب .

قال إبليس : أسفك مقبول و لكن لا تخطئ مرّة أخرى ، و تشبهنا بهم .... أنت تعلم أن هناك

شياطين من الجن و شياطين من الإنس يجمعهم وصف واحد في فعل المعصية ، كما يجمعهم الاتحاد في فعل الشر.

: أكمل يا أخي و أخبرنا ماذا فعلوا ؟

قال و هو يخرج زفرة حارقة من أعماقه : لقد أحرقوه و هو حي داخل القفص، كان منظراً بشعاً لم أستطع احتماله ، كان يقف شامخاً لا يرف له جفن ، يمشي بخطوات ثابته كرجلٍ واثق من نفسه ، مؤمن بقدر الله ، لم تصدر منه صرخة و لا آه حتى تلاشى شيئاً فشيئاً ... عكس ما تمنى آسروه.

صاح الجميع في ألم : سحقاً لهذه البشاعة ... لقد غلبونا فعلاً في أفعالنا .

: أعطانا الله حق الاختيار ، في منهجه افعل ، و لا تفعل ، و خرجنا عن هذا المنهج إلى الفسوق ، و العصيان ، و لكن هؤلاء ماذا دهاهم ؟؟؟!!!! فمن المفترض أنهم ينتمون إلى الاسلام ، كما يدّعون .

: قال إبليس : إن الرسول محمد (ص)، يهتف في البرية محذراً من حرق الناس أو تعذيبهم بالنار " إن النار لا يعذب بها إلا الله (س) و محذراً أيضاً " لا تعذبوا بعذاب الله عز و جل. و لكن داعش تتجاوز كل ما جاء للبشرية ، و تتغافل عنه ، وتطمسه.

: إنهم لا يفهمون ، أن الله لم يبح لأحد ، أن يحرق أحداً من خلقه بالنار ، سواء كان إنساناً أو حيواناً، أو طائراً ، و لم يبحه لأى نبي ، صاحب معجزة ، و لا لوليّ صاحب كرامة ، إنه أمر اختص الله به نفسه دون سواه ، و جعله في الآخرة دون الدنيا.

: يا أخي حتي السمك لا يشوى في النار و هو حي ، رحمة و شفقة عليه ، حتى لا يشعر بعذاب النار و هو حي رغم أنه سيشوى بالنار بعد ساعات قليلة.

: داعش تقرأ " و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " فتفهمها هكذا(و ما أرسلناك إلا ذابحاً للعالمين. أو حارقاً للعالمين. أو مفجراً للعالمين) ، عيونهم عليها غشاوة و نفوسهم فيها جفوة.
لقد قرأت ان الرسول محمد (ص) ينادي على البشرية كلها (أفشوا السلام بينكم) .
قال إبليس : لا يا بني لقد " فهموها " أفشوا الدمار بينكم " أو " أفشوا الذبح بينكم ".

: ليس هذا فقط يا سيدي ، أخيرًا منذ أيام ، أقدم التنظيم على حرق أربعة عناصر، من رجال المذهب الشيعي ، الذين اشتركوا في الحشد الشعبي العراقي ، الذي يقاتل إلى جانب القوات الأمنية ضدهم ، أربعة رجال ارتدوا أيضاً الزي الأحمر حتي يعذبونهم بمعرفة مصيرهم قبل أن يقتلوهم ، و يا ليتهم قتلوهم رمياً بالرصاص كما يظنون .

قال إبليس : و كيف قتلوهم هذه المرة ؟

: لن تصدق يا سيدي ؟! ابتكروا طريقة جديدة ، لم تخطر على بالنا نحن الأبالسة ، تصورهم خراف ، بوضعهم مكبلين بالسلاسل في الأرجل و الأيدي ، على هيكل حديدي.

صمت قليلاً و هو يضع يده علي عينيه كأنه يبعد عن ذاكرته منظر أذى مشاعره و ظهرت على قسمات وجهه تعبيرات زادته قبحاً .

صاح الجميع : ماذا فعلوا؟

تنهد الشيطان في عمق ثم قال : كان منظرهم بشعاً بشعاً .... كانوا يشعلون النيران أسفل الحامل الحديدي تحتهم ، ببطيء شديد ، يعذبونهم بالنظر إلى ما يفعلون ، و الرعب يملأ عيون المساكين ، و قسمات وجوههم ، و أعضاء التنظيم ينظرون إليهم ، في استمتاع غير عادي ، و كأنهم يتلذذون بتلك التعبيرات القاسية ، التي تظهر على وجوه الضحايا ، يعذبونهم بتفاصيل مصيرهم المنتظر بينما كانت صرخات الألم تملأ الأجواء و رائحة الشواء، ، يحملها الهواء لينشرها بسرعة في كل أنحاء الصحراء حولهم ،

و جلود تتساقط على النار، فتزيدها اشتعالاً ، و تزداد معها صرخات الرجال ، و بعد قليل ، خفتت صرخات الرجال ، رويداً رويدا ، حين أتت النيران على أجسادهم ، و تحولوا إلى كتلٍ من الفحم (بكي الشيطان في حرقة و هو يتابع كلامه

قائلاً : بشع ... بشع يا أبي ، لم أتحمل يا أبي ما أراه ... و أعضاء الجماعة ينظرون إلى

المشهد في استمتاع و تلذذٍ غير عادي.

قال إبليس و هو يخرج زفرةً حارة من أعماق صدره : لقد احترت في هؤلاء الناس ، إذا كانوا يقومون بتلك الأعمال دون تدخلنا نحن لنوسوس لهم ، فماذا سنفعل نحن ؟!!!

: لقد سلبونا معظم اختصاصاتنا أيها الكبير، و لن يكون لنا مكان على الأرض بعد الآن !!!

: نعم لم نعد نستطع منافستهم، في طرق القتل التي يقومون بها ، لقد تفوقوا علينا كثيرا!!! .

قال إبليس : إن الرسول محمد (ص) يبشر، و هم ينفرون ، و يجمع ، و هم يفرقون ، و ييسر وهم
يعسرون ، و يعدل ، و هم يَظلمون ، و يبتسم ، و هم يتجهمون ، و يهدى ، و هم يُكفرون ،
: الرسول لا يقاتل عدوين في وقت واحد رغم قوته ، و نبوته ، و تأييد الملائكة ، وهم

يقاتلون الدنيا كلها ، و يصطدمون بسنن الله في كونه ، و خلقه و يظنون أنهم سينتصرون.
: الرسول يرحم ، و هم يحرقون ، و يذبحون فأي الفريقين أهدى سبيلاً و أقوم طريقاً ؟؟!!!!.
: يا ليتهم توقفوا عند هذا الحد ، إن لهم أفعال تشيب لها الولدان ، لم تخطر على عقولنا ، و لم نوسوس لهم بها ، إنهم يلغمون الأطفال و يدفعونهم إلى اقتحام مواقع
رجال الأمن بدعوى الجاهد ضد الكافرين.
صمت إبليس ، و اكفهر وجهه توهجاً من الغضب و قال : و الآن ماذا سنفعل ؟؟ هذا هو الإسلام ، و هذه هي داعش ، هذه رحمة الإسلام ، و هذه قسوة داعش ، هذا عطف الإسلام ، و هذه غلظة داعش
صاح الجميع في يأس : و ماذا نفعل بعد كل ما سمعنا ؟؟!!! و ما رأيناه .
صاح إبليس في يأس : ماذا سنفعل ؟؟!! ... ليس أمامنا إلا أن نعلن انهزامنا أمام بني آدم ....فلم يعودوا في حاجة إلى وسوستنا ليفعلوا الشر إذن سنتركهم لأنفسهم تتكفل بهم
و نستريح نحن لفترةٍ من الزمن حتى يأذن الله بأمر كان مفعولاً ، و نستريح نحن حتى يهديهم الله إلى الطريق السويِّ ، أو يأخذهم و نستريح منهم و تستريح الدنيا من شرهم ، و بعد ذلك نعود نحن إلى عملنا دون تدخلهم فيه.
انصرف الجميع مطأطئوا الرؤوس في حزن ، و هم يصيحون في يأس : موافقون .

السيرة الذاتية

الاسم : فاطمة هانم طه محمد يعقوب (فاطمة يعقوب)

تاريخ الميلاد : ١٩٤٣\٣\٢٩

المؤهل : *بكالوريوس تجارة جامعة القاهرة

* دبلوم إدارة البيئة كلية الاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة

العنوان الألكتروني: fatma.yaakob@yahoo.com

- ❖ عضو عامل باتحاد الكُتاب المصري
- ❖ عضو بالمجلس المصري لكتب الأطفال EBBY
- ❖ سكرتير لجنة الأدب بقصر ثقافة العاشر من رمضان
- ❖ عضو بجمعية الشعراء والمفكرين والمبدعين
- ❖ عضو اللجنة النسائية بمحافظة القاهرة ١٩٩٤
- ❖ عضو مجلس إدارة نادي أدب العاشر من رمضان
- ❖ مؤلفة مادة لبرامج الأطفال بالإذاعة المصرية (برنامج مع الاصدقاء) (غاوي معرفة)
- ❖ حاصلة على الجائزة التشجيعية في مسابقة السيدة سوزان مبارك لأدب الطفل عام ١٩٩٦ (قصة الخنفساء).
- ❖ حاصلة على الجائزة الثانية من المركز القومي لثقافة الطفل ،عن قصتي "الكل في واحد" عام ١٩٩٠

❖ حاصلة على شهادة تقدير من المركز القومي لثقافة الطفل و منظمة اليونسيف لمشاركتي الفعاله في إنجاز قصص الأطفال المستمدة من دليل (حقائق للحياة) عن قصة (القطرة الحائرة) عام ١٩٩١

❖ حاصلة على شهادة شكر وتقدير من النادي الادبي المركزي بمحافظة الشرقية الهيئة العامة لقصور الثقافة عام ٢٠١٤

❖ حاصلة على شهادة شكر وتقدير من نادي أدب قصر ثقافة العاشر من رمضان في مهرجان غزة تشرق من العاشر من رمضان عام ٢٠١٤.

❖ حاصلة على شهادة تقدير من جمعية الشعراء والمفكرين المبدعين في مهرجان في حب مصر بمكتبة الاسكندرية بما قدمته لإثراء الحياة الادبية والثقافية عام ٢٠١٤.

❖ حاصلة على وسام التميز الإبداعي من جمعية واحة شعراء العامية الثقافية بالقاهرة للمساهمة الفعالة في إثراء الحياة الثقافية عام ٢٠١٤

❖ حاصلة على جائزة الأم المثالية من نادي أدب العاشر من رمضان عام ٢٠١٤

❖ حاصلة على الجائزة الثانية في مسابقة عبد القادر الحسيني عن مجموعة قصصية بعنوان (السياسة على طبق فول) ٢٠١٥

الإنجازات في مجال النشر

❖ الكتابة في العديد من المجلات الثقافية العربية

❖ القطرة الحائرة عن هيئة اليونسيف عام ١٩٩١

❖ قرية النمل – عن دار المحبة للنشر والتوزيع عام ١٩٩٥

❖ بيتنا الأرض عن جهاز شئون البيئة عام ١٩٩٦

❖ الزلزال عن جهاز شئون البيئة عام ١٩٩٦

❖ رحلات وليد وقلمة العجيب (حقل الخضروات)عن دارالمعارف(طبعتان)

❖ رحلات وليد وقلمة العجيب (بيت العنكبوت) عن دار المعارف (طبعتان)

❖ رحلات وليد وقلمة العجيب (قوس قزح) عن دار المعارف (طبعتان)

❖ رحلات وليد وقلمة العجيب (السحابة السوداء)عن دار المعارف ١٩٩٩

❖ النهر الهارب عن دار المعارف عام١٩٩٩

❖ سلسلة وليد وقلمه العجيب(٢١ قصة) عن مؤسسة حورس للطباعة والنشر عام ١٩٩٩

❖ سلسلة حكايات حكايات(٤ قصص) عن مؤسسة طيبة للنشر التوزيع عام ١٩٩٩

❖ الحمامتان وغصن الزيتون عن دار المعارف عام ٢٠٠١

❖ حياة الأفيال عن دار المعارف عام٢٠٠١

❖ قطرة الماء الحائرة عن دار المعارف طبعة جديدة طبعتان عام٢٠٠٢

❖ الفيل والعصفور عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ٢٠٠٦

❖ قصة الفيل والعصفورة عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام٢٠٠٦

❖ أبو حذيفة بن عتبه (قصص دينية) عن دار المعارف عام ٢٠٠٧

❖ أبوذر الغفاري (قصص دينية)عن دار المعارف ٣ طبعات عام ٢٠٠٧

❖ الزبيربن العوام (قصص دينية)عن دار المعارف ٣ طبعات عام 2007

❖ سعد بن أبي وقاص (قصص دينية)عن دار المعارف (٣ طبعات)٢٠٠٧

❖ مجموعة قصصية بعنوان (رسالة إلى أكبر أحفادي) (٥ قصص للنشء)عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام٢٠٠٧

❖ الغزالة الشاردة عن دار المعارف عام ٢٠٠٩

❖ اخناتون (قصص من مصر القديمة)-الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠٩

❖ سلسلة حكايات من الغابة (٥ قصص)- دار طيبة للنشر والتوزيع ٢٠١٠

❖ مجموعة قصص قصيرة بعنوان " السياسة علي طبق فول " دار المعارف عام ٢٠١٤

❖ كتاب (النملة علمتني+ ندي الصباح)عن الهيئة العامة للكتاب ٢٠١٨

<u>قصص للنشيء تحت الطبع</u>

برميل جدتي - أنا والخوف صديقان - وعادت لي ثقتي - أحلام الفأر الصغير

في مجال الرسوم المتحركة

* تم انتاج (٣٠) حلقة من وليد وقلمه العجيب ، رسوم متحركة عن راديو وتلفزيون العرب **ART** تم عرضها عام ١٩٩٥

* تحت الانتاج فيلم رسوم متحركة بعنوان (مغامرات حياة وخلود) صوت القاهرة للانتاج الاعلامي

الفهرس

بطاقة الكتاب ٢

إهـــــداء ٣

عبرات القلوب ٤

أغنية الصمود ١٦

الرجل و الكاميرا ٢٠

الصرخة الخرساء..... ٢٤

العجوز و الدار ٢٦

فتحت الجلسة .. رُفعت الجلسة ٣٤

دور البطولة..... ٤٥

زجاجة العطر الصغيرة..... ٤٩

عالم افتراضي ٥٢

عروس الديرة ٥٧

فرط الرُمان..... ٦٣

كُل تأخيرة!!! ٦٦

ليس بيدي ٧٣

ناس الترولي باص ٧٨

وردة يا بيه ؟!!..... ٨٢

إبليس في إجازة..... ٨٥

السيرة الذاتيه..... ٩٦

الفهرس..... ١٠٠